

مَجَلـة شَهـريَّـة اسْلاميَّـة أَدبيَّـة

تصدر عن دار التأليف والترجمة، بنارس

المجلد (٤٤)	محرم الحرام ١٤٣٤ هـ
العدد الثاني عشر	ديسمبر ٢٠١٢ م

المشـرف العام: عبـد اللّه سعـود بن عبـد الوحيد

رئيس التحريـر: أسعد أعظمي بن محمد أنصاري

☆ عنوان المراسلة:	صـوت الأمـــة بی ۱ / ۱۸ جی، ریوری تالاب، بنارس، الهند THE EDITOR B-18/1-G, Reori Talab, Varanasi - 221010 (India)
☆ الاشتراک باسم:	دار التاليف والترجمة، ریوری تالاب، بنارس، الهند DAR-UT-TALEEF WAT-TARJAMA B-18/1-G, Reori Talab, Varanasi - 221010 (India)
☆ الاشتراک السنوي:	في الـهـند (١٥٠) روبيـــة، في الخارج (٤٠) دولار بالبريد الجوي، ثمن النسخـة (١٥) روبيـة

☆ تليفون: ٢٤٥٢٢٤١ / ٢٤٥١٤٩٢ ــ ٥٤٢ ــ ٠٠٩١ فاكس: ٢٤٥٢٢٤٣ ــ ٥٤٢ ــ ٠٠٩١

محتويات العدد

الافتتاحية

مأساة مسلمي بورما

أسعد أعظمي بن محمد أنصاري

في جو من الصمت الدولي المريب تعاني الأقلية المسلمة في بورما أفظع أنواع القتل والتحريق والتشريد والهمجية والوحشية، التي تفوق كل التصورات والتقديرات، وذلك في القرن الحادي والعشرين، وفي عصر النهضة والرقي والمدنية والحضارة، ومع تواجد منظمات وحركات حقوق الإنسان وحقوق المرأة وحقوق الأطفال وحقوق فلان وفلان.. وفي ظل مجلس الأمن والأمم المتحدة ومنظمة المؤتمر الإسلامي، وأمام نحو سبع مليار إنسان، ومليار ونصف مليار مسلم، ونحو (٦٠) دولة إسلامية.

يرجع تاريخ مأساة مسلمي أراكان إلى عهود بعيدة، ويفيد الملمون بالتاريخ أن أرض أراكان أضاءت بنور الإسلام في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد في القرن السابع الميلادي، عن طريق الرحالة العرب، حتى أصبحت دولة مستقلة حكمها (٤٨) مسلما على التوالي، وذلك لأكثر من ثلاثة قرون ونصف قرن، أي ما بين عامي ٨٣٤–١١٩٨هـ = ١٤٣٠–١٧٨٤م. وانتشر الإسلام في كافة بقاع بورما، وتوجد بها آثار إسلامية رائعة.

وفي عام ١٧٨٤م احتل أراكان الملك البوذي البورمي بوداباي، وضم الإقليم إلى بورما، خوفا من انتشار الإسلام في المنطقة، وأذاق المسلمين الويلات. ثم احتلت بريطانيا دولة بورما عام ١٨٢٤م وضمتها إلى حكومة الهند البريطانية الاستعمارية، وفي عام ١٩٣٧م ضمت بريطانيا بورما مع أراكان التي كان يقطنها أغلبية من المسلمين لتكون مستعمرة مستقلة. وفي عام ١٩٤٢م تعرض المسلمون لمذبحة وحشية كبرى من قبل البوذيين، راح ضحيتها أكثر من مائة ألف مسلم، وبعد استقلال بورما عام ١٩٤٨م ازداد الأمر سوءا بالنسبة للمسلمين. ومنذ استولى العسكريون الفاشيون على الحكم في بورما بعد الانقلاب العسكري في عام ١٩٦٢م يتعرض مسلمون أراكان لكل أنواع الظلم والاضطهاد من القتل والتهجر والتشريد والتضييق الاقتصادي والثقافي، ومصادرة الأراضي، بل مصادرة مواطنتهم بزعم مشابهتهم للبنغاليين في الدين واللغة والشكل. فقد طرد أكثر من (٣٠٠) ألف مسلم إلى بنغلاديش عقب الانقلاب

العسكري الفاشي، وفي عام ١٩٧٨م طرد أكثر من نصف مليون. وفي عام ١٩٨٨م تم طرد أكثر من (١٥٠) ألف منهم، وفي عام ١٩٩١م تم طرد قرابة نصف مليون مسلم، الخ.

يزيد عدد سكان بورما على (٥٥) مليون نسمة، ونسبة المسلمين في هذا البلد لا تقل عن ١٥% من مجموع السكان، نصفهم في اقليم أراكان، ويصل عدد مجموع المسلمين إلى نحو (١٠) ملايين نسمة، وإن كانت الإحصاءات الرسمية لا تنصفهم في هذا العدد، بل تذكر أن عددهم بين ٥، و ٨ ملايين نسمة. وهم أفقر الجاليات وأقلها تعليما، ومعرفتهم عن الإسلام محدودة.

وقد تجددت الاشتباكات الدامية بين المسلمين والبوذيين في شهر يونيو الماضي بعد أن قام شاب مسلم — حسب الأنباء الواردة من هناك — باغتصاب فتاة بوذية وقتلها. وبلغت حصيلة أعمال العنف في شهر يونيو فقط أكثر من تسعين قتيلا حسب إحصاء رسمي، لكن منظمات غير حكومية تعتبر العدد الفعلي للقتلى أكثر من ذلک بکثير.

وقد تناول الإعلام العالمي والإسلامي الموضوع لبعض الوقت، وألقى بعض الأضواء على المأساة التي يعيشها المسلمون في بورما إثر هذا الحادث، ولعل الموضوع قد بحث في اجتماع منظمة المؤتمر الإسلامي أيضا، وسمعت بعض أصوات الشجب والتنديد والاستنكار أيضا، إلا أنها لم تحرک ساکنا، بل لم تسكن متحرکا، وقد بلغ الأمر من الوقاحة أن يعلن رئيس دولة بورما بطرح فكرة لحل القضية، وهي ترحيل أبناء هذه الأقلية إلى دولة أخرى، أو تجميعهم في مخيمات تديرها الأمم المتحدة. ويخرج الرهبان البوذيون بأثوابهم الصفراء التقليدية في شوارع بورما في مظاهرات لتأييد فكرة رئيسهم.

سكنت الأصوات التي انطلقت من هنا وهناک لشجب وتنديد الأعمال الوحشية التي مارسها البوذيون المتطرفون على المسلمين البرماويين، وعادت موجة العنف لتندلع مرة بعد أخرى على هذه الأقلية المحاطة المحرومة من أدنى الحقوق الإنسانية على مرأى ومسمع من نحو ٦٠ دولة إسلامية ومليار ونصف من الذين يدينون بدين الإسلام، والذين تجمعهم ومسلمو بورما الأخوة الإيمانية التي من مقتضياتها أن يعيش المسلمون كلهم — قادتهم ورعيتهم، عربهم وعجمهم، أحمرهم وأسودهم — كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر.

ونجد في الشرق والغرب جمعيات ومنظمات حقوق الإنسان تتهم –بين حين وآخر– الدول الإسلامية بانتهاك حقوق الأقليات وتتباكى عليهم، وتبحث بالعدسات المكبرة عن أمثلة من هذا النوع، وتهدد هذه الدول بفرض عقوبات إذا لم تخضع بالانصياع إلى مطالبها. وتتدخل الدول الغربية ومنظماتها لتقسيم البلاد الإسلامية وفصل أقلياتها الغير المسلمة في أراضي خاصة بها بحجة أنها أقلية مهضومة الحقوق تفتقد مقومات العيش وتعيش في ظروف قاسية .. الخ. أما إذا كانت الأقلية مسلمة فليظلمها الظلمة ولينهبها الناهبون، ولتقتل وتضطهد وتشرد .. فليس لها بواكي:

قتل امرئ في غابة جريمة لا تغتفر

وقتـل شعب آمن مسئلة فيها نظر

إن الأنباء والصور التي تنقل عبر بعض وسائل الإعلام من بورما تقشعر منها الجلود، فترى مثلا مسلما قد أشعل البوذيون في ثيابه النار، ثم اضطروه ليجري وهو يحترق، وهم يتفرجون عليه يصفقون ويصيحون ويلتقطون الصور. وكذلك ترى صورة مساحة كبيرة من اللحم المشوي والعظام المتفحمة، والأرض تبتلع الفضيحة طالما نعمي أبصارنا.

يجدر بالذكر أن هذه الجرائم البشعة والأعمال الوحشية يرتكبها أناس يدينون بديانة بوذية، تلك الديانة التي عرفت بالترغيب في الزهد والتقشف والتبتل والإعراض من زخارف الدنيا والاجتناب عن أدنى أنواع إيذاء الخلق، ناهيك عن ذبح الانسان وإحراق البـشر، وتنصح تعليمات الديانة أتباعها من الكهنة والنساك باتخاذ أقل ما يمكن من الأغراض والأمتعة في الحياة، بل تحددها في ثمانية أشياء منها مصفاة لتصفية مياه الشرب حتى لا يدخل الحشرات الصغيرة والجراثيم في البطن، لأن ذلك يعتبر إيذاء بل قتلا لها. ومن الأدعية والترانيم التي يرددونها في عباداتهم: "إنني أتعهد الاجتناب عن إزهاق الروح"، وفي أكبر عيد لهم يقومون بإرسال بلاغ المحبة والود والوئام إلى كافة الخلق حتى الأعداء والحيوانات والحشرات وسكان العالم آخر. فهل كل ذلك لا يجاوز الحناجر؟ فسرعات ما يمسكون بالخنـاجر،

ويكذبون أقوالهم بأعمالهم، ويرمون وراءهم كل معاني الإنسانية والرحمة، ويدوسون بأقدامهم كل المواثيق الدولية والمبادئ المتعارفة:

أسد عليّ وفي العهود نعامة؟

ووسائل الإعلام هي الأخرى تشجعهم على المضي في ممارسة كل الأساليب القمعية، وذلك بترك تغطية إعلامية لما يرتكبونه من المجازر الوحشية والتصرفات المشينة، ذلك الإعلام الذي أقام الدنيا وما أقعدها عندما أصيبت "ملالة" بجروح برصاصات إخوانها في الدين والعقيدة. وهناك آلاف من "الملالات" يعشن بين الموت والحياة، ليس هناك من يستمع إلى أصواتهن وينقلها إلى أخواتهن وإخوانهن. وهن ينادين بتكرار: "وامعتصماه!" فهل من مجيب؟

إن التزام مسلمي العالم ودولهم ومنظماتهم بالصمت والسكوت على مآسي إخوانهم في بورما وتخاذلهم لهم ليبعث على الحيرة والعجب. كما أن اتفاق دول الشرق والغرب على تجاهل قضية مسلمي بورما وعدم إعطاءها حقها من العناية والاهتمام يثير الشكوك ويطرح التساؤلات. فإن العالم لم يسمع من قادة هذه الدول إلا كلمات يسيرة من الشجب والإنكار على استحياء، مع علمهم بأن الحكومة العسكرية في بورما لم تزل على موقفها السلبي من هذه القضية، وهي مستمرة في تشجيع البوذيين المتطرفين على التنكيل بالمسلمين، وتغض الطرف عن أعمالهم الإجرامية والوحشية، وتعلن جهارا أن المسلمين الروهنجيين ليسوا مواطنين في الدولة، وإنما هم كضيوف فيها يجب أن يرحلوا عنها في أسرع ما يمكن. أليس هذا تحديا صارخا للقوانين الدولية ومواثيق الأمم المتحدة؟

اللهم إنا نسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى أن تنصر هؤلاء المستضعفين في الأرض نصرا مؤزرا، ولا تكلهم إلى أنفسهم ولا إلى أحد سواك طرفة عين، وأصلح لهم شؤونهم كلها. وخذ أعداءهم أخذ عزيز مقتدر، وأرنا فيهم عجائب قدرتك، وأنزل بهم بأسك الذي لا ترده عن القوم المجرمين، واحفظنا وجميع المسلمين من كل سوء ومكروه.

***

رجال صدقوا:

رجال صدقوا .. أسيد بن حضير

معالي الشيخ الدكتور محمد بن سعد الشويعر
رئيس تحرير مجلة البحوث الإسلامية بالرياض

يرفع الله من عباده، من يشاء إذا علم – وهو عالم الغيب – فيتبين كراماته عليهم وهم أحياء، ليؤخذ من هذا عبرة وقدوة، وأسيد بن حضير أو ابن الحضير، واحد من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم السابقين إلى الإسلام، الذين مدحهم الله جل وعلا في كتابه، في مواطن كثيرة، منها ما جاء في سورة الواقعة: (والسابقون السابقون، أولئك المقربون في جنات النعيم ثلة من الأولين) الآيات (١٠–١٣)، وهي سنة الله الخالدة، أن يتمايز الناس بأعمالهم وإخلاصهم، فيرفع بعضنا على بعض في الدرجات، ويمايز بينهم في منازل يوم القيامة بمقدار صدقهم ونواياهم المخلصة مع خالقهم في المعتقد والعمل سبحانه.

وأسيد بن حضير – بالتعريف والتنكير – بن سماك بن عتيك الأوسي، واحد من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن الأنصار قال عنه الزركلي في الأعلام: كان شريفا في الجاهلية والإسلام، مقدما في قبيلته الأوس، من أهل المدينة، يُعد من عقلاء العرب وذوي الرأي فيهم، وكان يسمى الكامل – والكامل عند العرب الجاهليين من اتصف بثلاث خصال: معرفة الكتابة، وإجادة العوم يعني السباحة، وإجادة الرمي، أما الكمال في الإسلام فيختلف.

شهد مع الأنصار في سابقتهم للإسلام: العقبة الثانية مع السبعين كما كان أحد النقباء الذين يحرسون رسول الله صلى الله عليه وسلم، الإثني عشر، وشهد غزوة أحد مع الرسول، فجرح سبع جراحات، وثبت مع رسول الله حين انكشف الناس، كما شهد غزوة الخندق والمشاهد كلها، وكانت وفاته بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم عام ٢٠ هـ، وقد جاءت أخباره (في مصادر عديدة. الأعلام ١ : ٣٣٠) مع أنه لم يثبت منها غير طبقات ابن سعد، والتهذيب والصفوة، لم يعرف تاريخ ولادته، ولذا لم يعرف مقدار عمره بالتحديد.

أما الذهبي في كتابه سير أعلام النبلاء، فقد استقى ترجمته من ٢٢ مرجعا، لكنهما لم يذكرا أهم المصادر، ومنها السيرة النبوية لابن هشام، وأسد الغابة لابن الأثير في معرفة الصحابة، ولا كتاب فضائل الصحابة للإمام أحمد بن حنبل، ولا كتاب: معجم الصحابة للبغوي.. وفضائله رضي الله عنه كثيرة تبين من تتبع سيرته.

قال عنه الذهبي: واحد من النقباء الاثني عشر ليلة العقبة، أسلم قديما، وقال: ما شهد بدرا، وكان أبوه شريفا مطاعا، يدعى حضير الكتائب، وكان رئيس الأوس يوم بغاث، فقتل يومئذ فيه للأوس على الخزرج، وكان على الأوس يومئذ حضير والد الصحابي الجليل: أسيد، وكان على الخزرج عمرو بن النعمان البياضي، فقتلا جميعا، فقال خفاف بن ندبة، يرثي حضير الكتائب:

فلو كان حي ناجيا من حمامه — لكان حضير يوم أغلق واقما
أطاف به حتى إذا الليل جنة — تبوأ منه منزلا متناغما

(سير أعلام النبلاء: ٣٤١/١)

وقال محمد بن سعد في طبقاته: آخى النبي صلى الله عليه وسلم بين أسيد بن حضير وبين زيد بن حارثة، وله رواية أحاديث، روت عنه عائشة وكعب بن مالك وعبد الرحمن ابن أبي ليلى، ولم يلحقه.

وذكر الواقدي: أنه قدم الجابية مع عمر، وكان مقدما على ربع الأنصار، وأنه ممن أسلم على يد مصعب بن عمير، هو وسعد بن معاذ رضي الله عنهما.

وقد روى أبو هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "نِعم الرجل أبو بكر، نعم الرجل عمر، نعم الرجل أسيد بن حضير". أخرجه الترمذي وإسناده جيد، وروي أن أسيدا كان من أحسن الناس صوتا بالقرآن.

وكان أسيد رضي الله عنه فيه مزاح، وكان جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم، وبيد رسول الله عود، فطعنه به فقال أسيد أصبرني؟ فقال الرسول: أصطبر، فقال أسيد: إن عليك قميصا وليس عليّ قميص، قال: فكشف النبي صلى الله عليه وسلم قميصه، فجعل أسيد يقبل كشح رسول الله، ويقول: إنما أردت هذا يا رسول الله، أخرجه أبو داود، قال ابن الأثير: كان أسيد يُكنى أبا يحيى بابنه يحيى، وقيل: أبا عيسى كنّاه به رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقيل: كنيته أبو عتيك، وقيل: أبو حضير، وقيل: أبو عمرو، روى عنه: كعب بن مالك وأبو سعيد الخدري، وأنس بن مالك وعائشة رضي الله عنها، وقد شهد مع عمر بن الخطاب فتح بيت المقدس.

وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يُكرمه، ولا يقدم عليه واحدا، ويقول: إنه لا خلاف عنده. (أسد الغابة: ١١٢/١)

ومن فضائله ومكانته، ما أخرجه الترمذي بإسناد جيد في المناقب عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (نعم الرجل أبو بكر، نعم الرجل عمر، نعم

الرجل أسيد بن حضير). وأنعم بها من مكانة رفيعة: أن يقترن في حديث واحد مع أبي بكر وعمر رضي الله عنهم جميعا، وما ذلك إلا لسبقهم في الإسلام وصدقهم ولكلّ خير.

أما رواية ابن الأثير بسنده إلى أبي هريرة رضي الله عنه فقد جاءت بنص الحديث: نعم الرجل معاذ بن جبل نعم الرجل أبو عبيدة بن الجراح، نعم الرجل معاذ بن عمرو بن الجموح (أسد الغابة: ١١٣٠)، وقد تكون العثمانية حديثا مستقلا أن أسيدا في مقدمة الجاهزين عند كل نائبة الجهاد والدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنه من الفرسان في الغزوات، ولما قال عبد الله بن أبيّ، في غزوة بني المصطلق في السنة السادسة من الهجرة، فلما استقل رسول الله صلى الله عليه وسلم راحلته وسار لقيه أسيد بن حضير فحياه بتحية النبوة، وسلم عليه، ثم قال: يا نبي الله، والله لقد رحت في ساعة منكرة، ما كنت تروح في مثلها؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: أو ما بلغت ما قال صاحبكم؟ قال عبد الله بن أبي؟ مستفهما ومقررا.

ثم قال: وماذا قال؟ قال: زعم أنه إن رجع إلى المدينة ليخرجنّ الأعز منها الأذل، قال فأنت يا رسول الله، والله تخرجه منها إن شئت، هو والله الذليل وأنت العزيز.

ثم قال: يا رسول الله، ارفق به، فوالله لقد جاء بك الله وإن قومه لينظمون له الخرز ليتوّجوه فإنه ليرى أنك قد استلبته ملكه (سيرة ابن هشام ٣/٣٠٤) وبقوته المعهودة وصلابته في الحق طمأن قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم، بقوله القوي، بعدما خاض المنافقون في إفك عائشة رضي الله عنها، وآذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في أهله، بقولهم عليها غير الحق، وكان الذي تولى كبره عبد الله بن أبي بن سلول في رجال من الخزرج.

قال ابن هشام: فلما قام رسول الله صلى في الناس يخطب، وسمعوا مقالته قال أسيد بن حضير: يا رسول الله! إن يكونوا من الأوس نكفك إياهم، وإن يكونوا من إخواننا الخزرج، فمرنا بأمرك، فوالله إنهم لأهل أن تضرب أعناقهم. (سيرة ابن هشام ٣/٣١٣)

أما عن حسن صوته عند تلاوة القرآن، فقد كان من أحسن الناس صوتا بالقرآن حتى أن الملائكة عليهم السلام يأتون لاستماع صوته بكلام الله سبحانه، وقد جاء في كنز العمال عدة أحاديث، تبين ما أكرمه الله به، منها ما روي عنه رضي الله عنه، بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة وفرسه مربوط، إذ جالت الفرس فسكت، فسكنت ثم قرأ فجالت الفرس، فسكت فسكنت فانصرف، وكان ابنه يحيى قريبا منه، فأشفق أن تصيبه.

فلما اجترّه رفع رأسه إلى السماء، فإذا هي مثل الظلة، فيها أمثال المصابيح عرجت إلى السماء، حتى ما يراها، فلما أصبح حدث رسول الله صلى الله عليه وسلم، بما رأى، فقال له

رسول الله صلى الله عليه وسلم، اقرأ ابن الحضير ثلاث مرات، ثم قال: أتدري ما ذاك؟ قال: لا يا رسول الله، قال: تلك الملائكة دنت لصوتك بالقرآن، ولو قرأت لأصبح الناس حتى ينظروا إليها، لا تتوارى منهم، رواه أبو نعيم في الدلائل. (كنز العمال ١٣/ ٢٧٧) وقد رويت هذه المسألة بعدة روايات مما يدل على أنها من الحالات المتواترة.

كما أنه رضي الله عنه لديه حس إيماني، مبعثه صدق الالتزام، والإخلاص في العمل، فقد روت عائشة رضي الله عنها قائلة: كان أسيد بن حضير من أفاضل الناس، وكان يقول: لو أني أكون كما أكون، على حال من أحوال ثلاث، لكنت من أهل الجنة، وما شككت في ذلك، حتى أقرأ القرآن، وحتى أسمعه، وإذا سمعت خطبة رسول الله، وإذا شهدت جنازة، وما شهدت جنازة قط، فحدثت نفسي سوى ما هو مفعول بها، وما هي صائرة إليه، إلا ذكرت الله، وصليت على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومن فقهه رضي الله عنه ما رواه عروة: أن أسيدا بن حضير اشتكي، وكان يؤم قومه جالسا. (السابق: ٧٩)

وهذه حالة المريض: كيف يصلي؟ أخذها أسيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم علما، فطبقها عملا رضي الله عنه.

أما ما عليه من دَين بعد وفاته وتوزيعه، فإن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قد اهتم به فصار توزيع دينه على الغرماء نبراسا يحتذى في قضاء دين من له غرماء حتى يرضون.. فقد رُوي عن ابن عمر رضي الله عنه، قال: لما هلك أسيد بن الحضير، وقام غرماؤه يطالبون بما لهم، فسأل عمر بن الخطاب: في كم يؤدىّ ثمر حديقته، ليوفي ما عليه من الدين؟ فقيل له في أربع سنين، فقال لغرمائه: ما عليكم أن لا تباع. قالوا: احتكم وإنما نقتص في أربع سنين.

فرضوا بذلك فأقر المال لهم.. قال: ولم يكن باع نخل أسيد، أربع سنين من عبد الرحمن للغرماء.

وفي رواية أن أسيدا مات، وترك عليه أربعة آلاف دَينا وكانت أرضه تغل في العام ألفا، فأرادوا بيعها فبعث عمر إلى غرمائه، هل لكم أن تقبلوا في كل عام ألفا؟ قالوا: نعم. (سير أعلام النبلاء: ١/ ٣٤٣)

وقد استشهد الفقهاء رحمهم الله، بكثير من أقوال وأحاديث أسيد بن حضير، في مسائلهم الفقهية على أنها حجة يؤخذ بها ويقاس عليها، حيث أورد ابن قدامة في المغني له أكثر من ست حالات، وقد توفي وأرّخ سنة وفاته الواقدي وأبو عبيدة بأنه مات سنة ٢٠ من الهجرة، وصلى عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ودُفن بالبقيع.

***

التوجيه الإسلامي

الزنا، حرمته وعقوبته في الإسلام

الشيخ أحسن جميل عبد البصير المدني

تمهيد:

إن جميع الرسالات والتشريعات السماوية حرمت كل ما هو ضار للعقل والعرض، والمال والعقيدة، والولد، والنفس والمجتمع الإنساني.

فقد حرم الإسلام الخمر لأنه يضر العقل ويفسده، والعقل من أغلى النعم التي منحها الله الإنسان وفضله به على سائر مخلوقاته، فإذا حاول الإنسان إفساده بشرب الخمر فقد عطل وظيفته التي بينها الله في قوله: {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون}. (الذاريات: ٥٦)

وحرم الإسلام قتل الإنسان والاعتداء عليه، لأن فيه ضياعا للبدن والنفس، والبدن خلقه الله وبناه بيده ونفخ فيه من روحه، فالاعتداء على النفس اعتداء على خلق الله.

وحرم السرقة والغصب والرشوة وقطع الطريق، لأن في هذه الجرائم اعتداء على المال والحقوق، كما فيها إفساد المجتمع الإنساني وسلب حقوقه، وكذلك حرم الربا، لما يترتب عليه من إيجاد طبقة تحيا على البطالة، وتعيش على امتصاص دماء المحتاجين، دون أن تقدم عملا نافعا للمجتمع.

كذلك حرم الإسلام الزنا ودواعيه، وكل وسيلة تهيج الشهوة وتعمل على تحريكها، لأن فيه اعتداء على الأعراض واختلاطا للأنساب، فشرع من أشد عقوبات الدنيا لمن ارتكبه، كما سيأتي تفصيله إن شاء الله.

الزنا: الزنا في اللغة مصدر زنى يزني زناء بالمد وزنا بالقصر، ويطلق على عدة معان:

فيطلق ويراد منه الرقي على الشيء، يقال: زنأ في الجبل يزنأ إذا صعد.

ويطلق ويراد منه الضيق يقال: وعاء زنى كغنى أي ضيق.

ويطلق ويراد منه الفجور أي: وطء المرأة من غير عقد شرعي. [1]

---

[1] انظر: تاج العروس: ١٠/١٦٥، المصباح المنير: ١/٢٧٦، المفردات للراغب: ٢١٥، لسان العرب: ١٤/٣٦٠.

وفي الشرع: وطء الرجل المرأة مشتهى بالطبع من غير نكاح شرعي ولا شبهة نكاح ولا ملك يمين، ويسمى الفاحشة، قال تعالى: (واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم} (النساء: ١٥) وقال تعالى: {ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا}. (الإسراء: ٣٢)

قال القرطبي: "كان الزنا في اللغة معروفا قبل الشرع مثل اسم السرقة والقتل، وهو اسم لوطء الرجل امرأة في فرجها من غير نكاح ولا شبهة نكاح بمطاوعتها.[1]

يقول السيد السابق رحمه الله مبينا الزنا الموجب للحد: "إن كل اتصال جنسي قائم على أساس غير شرعي يعتبر زنا تترتب عليه العقوبة المقررة، ويتحقق الزنا الموجب للحد بتغييب الحشفة، أو قدرها من مقطوعها، في فرج محرم مشتهى بالطبع من غير شبهة نكاح ولو لم يكن معه إنزال".[2]

حرمة الزنا وعقوبته:

لقد حرم الله الزنا وجميع دواعيه وكل وسيلة تهيج الشهوة التي تسبب الزنا، وذلك لتطهير المجتمع الإنساني من درن الفواحش والمنكرات، إن الزنا في نظر الإسلام وفي واقع الأمر من أشنع الجرائم ومن أخبث المنكرات، ولذلك حدد الله له عقوبة شديدة صارمة، لأن في هذه الجريمة البشعة هدر الكرامة الإنسانية وتصديع لبنيان المجتمع، كما فيها تعريض النسل للخطر وكثرة أولاد البغاء وعدم الاهتمام بالنشأة الصالحة.

والواقع أن العقوبة التي شرعها الله تعالى للزنا صارمة شديدة، لكنها في نفس الوقت عادلة، فإن الذي يعاقب بهذا العقاب هو الشخص المستخف الذي يسعى في طريق حصول شهوته كالحيوان لا يبالي بأي طريق نال شهوته ولا ما يترتب عليه من أخطار وأضرار.

إن الذي يرتكب هذه الجريمة يرتكبها لمجرد الاستمتاع وحصول الشهوة فهو ليس إنسانا، بل هو حيوان يمشي خلف هذا وهذا حينما تسيطر عليه الشهوة، وهذه الغزيرة التي أودعها الله في الإنسان ليس لمجرد نيل الشهوة وقضاء الوطر، بل هي من أجل غاية نبيلة سامية، وهي بقاء النسل.

---

[1] تفسير القرطبي: ١٠٧/٦.

[2] فقه السنة: ٦٤٣.

والله تعالى بحكمته العالية جعل الارتباط بين الذكر والأنثى، ولكنه لم يسمح به بطريق الفوضى، كما تفعل الحيوان حيث تنزو بعضه على بعض، وإنما سمح به في دائرة الطهر والعفة، وبطريق الزواج الشرعي الذي يحقق ذلك الهدف النبيل والغاية الإنسانية المثلى، قال تعالى: {والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة} (النحل: ٧٢).

وإن كان الإسلام يعتبر الزنا لوثة أخلاقية وجريمة اجتماعية خطيرة ويفرض لها عقوبة صارمة لكنه لا يفرضها لمجرد التهمة والظن والشبهات، بل على العكس يوجب التحقيق والتثبت، ويدرأ الحدود بالشبهات، ويشترط شروطا شديدة تكاد لا تتوفر، وهي شهادة أربعة رجال مؤمنين عدول يشهدون بوقوعها على مثل ضوء الشمس، أو اعترافا صريحا لا شبهة فيه من الشخص الذي قارف الجريمة.

وهذا بخلاف الغرب الذي لا يعتبر الزنا جريمة يعاقب عليها القانون، إلا إذا كان بالإكراه، وكان اعتداء على حرية الغير، أما إذا كان بالرضى من الجانبين فإنه لا يفرض عليه العقوبة، فالزنا وإن كان عيبا في نظرهم لكنه ليس بجريمة على كل حال، بل هو جريمة إذا كان بإكراه، ولذلك يعاقب الذي قارف الجريمة بعقوبة خفيفة سهلة، ويمكن أن تطالب المرأة المكرهة بتعويض غرامة مالية خاصة إذا كانت المرأة متزوجة، فنظرتهم إذن نظرة مادية بحتة، وهذه هي النظرة الفاسدة التي تسببت لهدم المجتمع الغربي وتخريب أسرهم، وانتشار تلك الأمراض والأوبئة الخطيرة والجرائم الخلقية البشعة فيهم التي لم يسمع عن كثير منها آباؤهم، لقد صدق النبي صلى الله عليه وسلم حين قال: "لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا" الحديث.[1]

لقد ورد ذكر عقوبة الزنا في سورتين من القرآن الكريم، والمتأمل في هذه الآيات يرى كأنها متعارضة، ففي سورة النساء جاء ذكر عقوبة الإيذاء إذا ثبت الزنا على الرجل، وإذا ثبت على المرأة فعقوبتها الحبس في البيوت إلى أن يأتيها الموت، قال تعالى:

{واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم، فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا، واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما إن الله كان توابا رحيما} (النساء: ١٥، ١٦)

---

[1] ابن ماجه: الفتن: ٤٠١٩، وصححه الألباني: ١٠٦.

وفي سورة النور ذكر الله تعالى ان عقوبة الزنا مائة جلدة، فقال تعالى:
{الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة}. (النور:٢)

فالظاهر أن الآيات متعارضة، وبما أن القرآن لا تعارض فيها لذلك حاول العلماء للتوفيق بينهما، واختلف آراؤهم في ذلك، فذهب الأكثرية إلى أن آية النور نسخت آيتي النساء، فقد كان الحبس والإيذاء في أول الإسلام، ثم نسخ الله تعالى ذلك بجعل عقوبة الزنا بمائة جلدة لغير المتزوج والرجم للمتزوج.

يقول الحافظ ابن كثير: "كان الحكم في ابتداء الإسلام إذا ثبت زناها بالبينة العادلة حبست في بيت، فلا تمكن من الخروج منه إلى أن تموت، ولهذا قال: "واللاتي يأتين الفاحشة" يعني الزنا "من نساءكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا" فالسبيل الذي جعله الله هو الناسخ لذلك. قال ابن عباس رضي الله عنه: كان الحكم كذلك حتى أنزل الله سورة النور، فنسخها بالجلد والرجم"، وكذا روى عن عكرمة وسعيد من جبير والحسن وعطاء الخراساني وأبي صالح وقتادة وزيد بن أسلم والضحاك أنها منسوخة، وهو أمر متفق عليه.

وروى مسلم وأصحاب السنن من طرق عن عبادة الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "خذوا عني خذوا عني، قد جعل الله لهن سبيلا، البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والثيب بالثيب جلد مائة والرجم".

وبعد ذكر بعض الروايات الواردة في هذا الباب يقول الحافظ ابن كثير: "وقد ذهب الإمام أحمد بن حنبل إلى القول بمقتضى هذا الحديث، وهو الجمع بين الجلد والرجم في حق الثيب الزاني، وذهب الجمهور إلى أن الثيب الزاني إنما يرجم فقط من غير جلد، قالوا: لأن النبي صلى الله عليه وسلم رجم ماعزا والغامدية واليهوديين ولم يجلدهم قبل ذلك. فدل على أن الجلد ليس بحتم، بل هو منسوخ على قولهم، والله أعلم. [١]

ويقول القرطبي مفسرا آية الزنا في سورة النور: "وهذه الآية ناسخة لآية الحبس وآية الأذى اللتين في سورة النساء باتفاق". [٢]

---

[١] تفسير ابن كثير: ١/٦١٣–٦١٤.

[٢] تفسير القرطبي: ٦/١٠٧.

والفريق الثاني لا يقول بالنسخ، بل إنهم يحاولون دفع التعارض بطرق أخرى، فطائفة تقول: إن آيتي سورة النساء تذكر عقوبة مرتكبي السحاق من النساء، ومرتكبي اللواط من الرجال، فهؤلاء يعاقبون بالحبس ان كن نساء، ويعاقبون بالإيذاء إن كانوا رجالاً، فإذاً هاتان الآيتان من النساء لا تذكران عقوبة الزنا وإنما تذكرها آية سورة النور فقط، يقول السيد السابق: "ونرى أن الظاهر أن آيتي النساء المتقدمتين تتحدثان عن حكم السحاق واللواط وحكمهما يختلف عن حكم الزنا المقرر في سورة النور، فالآية الأولى في السحاق والآية الثانية في اللواط".[1]

وهناك طائفة تقول بالجمع بين العقوبتين المذكورتين في آيتي النساء وآية النور، فالمرأة الزانية تجلد ثم تحبس وتظل محبوسة حتى يتأكد الإمام أنها تابت فيطلق سراحها أو يأتيها الموت، وكذلك الرجل الزاني يجلد ثم يؤذى حتى يتأكد الإمام أنه قد تاب، فيرفع عنه الأذى.[2]

والقول بنسخ آيتي سورة النساء هو الراجح لما روي عن عديد من الصحابة والتابعين في ضوء الأحاديث الصحيحة المروية في هذا الباب، والله أعلم.

فعقوبة الزنا في الشريعة الإسلامية هي الرجم للمتزوج البكر الحر، ومائة جلدة لغير المتزوج البكر الحر، والرجل والمرأة في ذلك سواء إلا أن الإمام الشافعي والإمام أحمد رحمهما الله زادا على مائة جلدة تغريب عام، وينكره الإمام أبو حنيفة، فإنه يرى ذلك إذا كان الحاكم والقاضي يجد فيه مصلحة، فيحكم فيه حسب المصلحة. والإمام مالك يخص التغريب بالرجل دون المرأة. والراجح في ذلك هو قول الإمامين الشافعي وأحمد للأحاديث الصحيحة الواردة في هذا الباب، وعمل الخلفاء الراشدون بذلك.

وسوف نتكلم بالتفصيل عن عقوبة الزنا والضوابط الشرعية في هذا الباب مع ذكر أقوال الأئمة والفقهاء، كما نتكلم عن الشبهات والاعتراضات التي يوردها ضعفاء العقول على حد الرجم فيما بعد ان شاء الله تعالى.

سد الذرائع المؤدية إلى الزنا:

عندما نقرأ الآيات القرآنية المتعلقة بالزنا نلاحظ أن القرآن نوع الأساليب في حديثه عن تحريم الزنا، فتارة يذكر أن حفظ الفروج صفة للمؤمنين أو المصلين أو لعباد الرحمن،

---

[1] فقه السنة: ٦٤٢.

[2] انظر: الجريمة والعقوبة في الفقه الإسلامي لمحمد محمد أبو زهرة: ٩٦، ٩٧.

وتارة ينهى عن اقتراب هذه الفاحشة، وتارة يذكر تحريمه بالنهي الصريح بـ"لا"، وذلك ليأخذ بالمجتمع إلى العفاف والطهر في رفق وهوادة، ويقرر في الأذهان والقلوب غلاظة هذه الجريمة وضراوتها، كما فيه إيحاء إلى أن النهي لا يتوجه إلى الزنا وحده، وإنما يتوجه إليه وإلى دواعيه، كالنظر إلى الأجنبيات، ودخول البيت من غير استئذان، وإلى كل ما يثير الشهوة ويحركها، فنظرا لفظاعة جريمة الزنا وعظم فساده على الفرد والمجتمع أمر الإسلام جميع المسلمين والمسلمات باجتناب الأعمال والدواعي التي تحرض على الزنا وتروجه في المجتمع الإنساني، ومنها:

١– أمر الإسلام المؤمنين والمؤمنات بغض أبصارهم في جميع الأحوال، فقال الله تعالى: {قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم، ذلك أزكى لهم}، وقال: {وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن}. (النور: ٣٠–٣١)

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إياكم والجلوس على الطرقات، فقالوا: ما لنا بد، إنما هي مجالسنا نتحدث فيها، قال: فإذا أتيتم إلى المجالس فأعطوا الطريق حقها، قالوا: ما حق الطريق؟ قال: غض البصر وكف الأذى. الحديث.[١]

وكذلك بين النبي صلى الله عليه وسلم حكمة الزواج بقوله: "إنه أغض للبصر وأحصن للفرج".[٢]

وهذه التنبيهات كلها لأن النظر هو أول داع إلى الشهوة ثم إلى الزنا، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "فالنظر داعية إلى فساد القلب، قال بعض السلف: والنظر سهم سم إلى القلب، فلهذا أمر الله تعالى بحفظ الفروج كما أمر بغض الأبصا التي هي البواعث إلى ذلك".[٣]

ويقول الحافظ ابن كثير في تفسير قوله تعالى: "ذلك أزكى لهم" أي أطهر لقلوبهم، وأتقى لدينهم، كما قيل من حفظ بصره أورثه الله نورا في بصيرته ويروى في قلبه".[٤] حتى ان النبي صلى الله عليه وسلم حذر أصحابه عن خطر النظر إلى المرأة الأجنبية، وأمر بصرفه عند الفجاءة، فعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن نظر

---

[١] البخاري: المظالم: ٢٤٦٥، مسلم: اللباس: ١١١٣.

[٢] البخاري: النكاح: ٥٠٦٦، مسلم: النكاح: ٣٣٩٨.

[٣] تفسير سورة النور: ١٢٣.

[٤] تفسير ابن كثير: ٣/٣٧٧.

الفجاءة، فأمرني أن أصرف بصري". [١] يقول النووي شرحا لهذا الحديث: "ومعنى نظر الفجاءة أن يقع بصره على الأجنبية من غير قصد، فلا إثم عليه في أول ذلك ويجب عليه أن يصرف بصره في الحال، وإن استدأم النظر اثم". [٢] وإلى ذلك أشار النبي صلى الله عليه وسلم عندما أمر عليا رضي الله عنه بصرف النظر حيث قال: "لك الأولى وليست لك الآخرة". [٣]

وهكذا أمرت الشريعة الإسلامية الرجال بغض البصر وصرفه عما لا تحل رؤيته، كما أمرت النساء بالتستر والتحجب حتى لا تثار الشهوات، ولكي يظل الجو الإسلامي الطاهر سائدا في المجتمع.

٢– نهى الإسلام النساء عن الخروج من بيوتهن إلا لحاجة ضرورية ومع مراعاة للآداب المأمورة بالشرع:

أ– أن لا يختلطن بالرجال في الطريق وأن يمشين في حافاته، فعن أبي أسيد الأنصاري أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول وهو خارج من المسجد فاختلط الرجال مع النساء في الطريق، فقال للنساء: "استأخرن فإنه ليس لكن أن تحققن الطريق، عليكن بحافات الطريق". [٤]

ب– أن يخرجن ساترات محجبات وبدون زينة وطيب، حتى لا يكنّ داعيات إلى النظر والشهوة، قال تعالى: {وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى} (الأحزاب: ٣٣) وقال تعالى آمرا للمؤمنات بغض الأبصار وحفظ الفروج: {وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء، ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن}. (النور: ٣١)

وعن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "كل عين زانية، والمرأة إذا استعطرت فمرت بالمجلس فهي كذا وكذا، يعني زانية". [٥]

---

[١] مسلم: الآداب: ٥٦٤٤.

[٢] شرح النووي: ١٤/٣٩.

[٣] أبو داود: النكاح: ٢١٤٩.

[٤] أبو داود: ٥٢٧٢، وحسنه الألباني في الصحيحة: ٨٥٦.

[٥] الترمذي: الأدب (٧٨٦).

فيجب على المرأة أن تجتنب عند الخروج من البيت عن كل شيء يلفت النظر إليها ويحرك شهوة الرجل إليها، سواء من ذلك التعطر والتطيب عند خروجها من بيتها أو تحرك يديها ورجليها لإظهار أساورها وحليها، أو الخروج بملابس ضيقة أو ذات ألوان جذابة، والتبختر في المشية وأمثال ذلك.

وكم جربت الإنسانية بسبب سوء الاختلاط بين الرجال والنساء من فتن ودمار؟ وكم جرت لها من أمراض نفسانية واجتماعية بعد اختلال هذا النظام الإلهي القويم؟ فلتبك على فساد عقولنا البواكي!!! وإذا كان الاختلاط بين الذكور والإناث محظورا في الطريق فكيف به في التعليم والعمل وميادين الحياة الأخرى؟

٣—لقد حرم الإسلام تخلية الرجل بالمرأة الأجنبية في أي مكان كانت وأي مناسبة، كما حرم على المرأة السفر بدون محرم، حتى لا تكون معرضا للفساد والفتنة، فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لا يخلون رجل بامرأة إلا ثالثهما كان الشيطان". [١] وعن ابن عباس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا تسافر المرأة الا مع ذي محرم، ولا يدخل عليها رجل إلا ومعها محرم". [٢]

فإذا كان السفر للحج بدون محرم ممنوعا فكيف يتسنى للمرأة المسلمة اليوم أن تسافر وحدها حيث شاءت باسم الدراسة تارة وباسم التنزه والسياحة تارة أخرى؟

٤—نهى الله تعالى المرأة أن تتكلم الرجال الأجانب إلا لضرورة وحاجة ملحة، وأن يكون الموضوع موضوع جد، فيكون حديثها في أمور معروفة غير منكرة، وأن لا يكون في خطابها للرجال ذلك الخضوع واللين الذي يثير شهوات الرجال ويحرك غرائزهم فيطمع مرضى القلوب وتهيج رغائبهم. فإذاً لا ينبغي أن يكون بين المرأة والرجل الغريب لحن ولا إيماء ولا هذر ولا هزلة ولا دعاية ولا مزاح حتى لا يكون مدخلا إلى شيء وراءه لا من قريب ولا من بعيد، قال الله تعالى مخاطبا نساء النبي صلى الله عليه وسلم وإن كان هذا الحكم عاما لجميع النساء المؤمنات: {يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقين فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا}. (الأحزاب: ٣٢)

---

[١] الترمذي: الرضاع: ١١٧١، الفتن: ٢١٦٥.

[٢] البخاري: جزاء الصيد: ١٨٦٢، مسلم: الحج: ٤٢٣.

قال ابن كثير: "ومعنى هذا أنها تخاطب الأجانب بكلام ليس فيه ترخيم أي لا تخاطب المرأة الأجانب كما تخاطب زوجها". [١]

٥- أمر الله تعالى بالاستئذان للدخول في بيوت الآخرين، لأن دخول بيوت الآخرين بدون الاستشعار قد يكون مظنة حصول النظر والخلوة والاطلاع على العورات، وهذا قد يقضي على أواصر المجتمع ويدمر الأسر، ويسبب الفحشاء، فأرشد الله تعالى عباده إلى الطريقة الحكيمة التي يجب أن يتبعوها عند دخول بيت الآخرين حتى لا يقعوا في ذلك الشر الوبيل، والآيات القرآنية في هذا الباب تشير إلى أن هذا الأمر عام لجميع المسلمين ذكورهم وإناثهم ومحارمهم وغير محارمهم وأقاربهم وأباعدهم، فلا يجوز لأحد أن يدخل على بيوت الآخرين إلا بعد الإذن والرضا والأنس بالدخول، قال الله تعالى بعد بيان حكم الزنا وضرره وخطره والعقاب والعذاب على مرتكبه: {يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها، ذلك خير لكم لعلكم تذكرون، فإن لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم، ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون}. (النور: ٢٧-٢٩)

ففي هذه الآيات الكريمة وضع الله تعالى نظاما شاملا للدخول في بيوت الآخرين فعلم الأمة الإسلامية هذه الآداب الحميدة لتبقى الأسرة المسلمة في منأى عن الفساد الذي تعج به المجتمعات الأخرى، وبعد ذلك أوجب السلام والاستئذان على الخدم والصغار في ثلاثة أوقات وسماها عورات لانكشاف العورات فيها، ففي هذه الأوقات الثلاثة لا بد ان يستأذن الخدم والصغار المميزون الذين لم يبلغوا الحلم، حتى لا يقع أنظارهم على عورات أهليهم، فقد يكون الانسان في حالة لا يحب أن يطلع عليه أحد، قال الله تعالى: "{يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات، من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم، ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن، طوافون عليكم بعضكم على بعض}. (النور: ٥٨)

---

[١] تفسير ابن كثير: ٣/٦٣٦.

فانظروا إلى هذا الأدب الرفيع الذي يغفله الكثيرون في حياتهم مستهينين بآثاره النفسية والخلقية، ظانين ان الخدم لا تمتد أعينهم الى عورات السادة وان الصغار قبل البلوغ لا ينتهبون لهذه المناظر.

وفي أثناء بيان هذا التعليم والأدب يشير الله تعالى إلى حكمة تخصيص هذه الأوقات الثلاثة بأنها مظنة إنكشاف العورات ومسببة للفساد في المستقبل.

فهذا هو أدب الإسلام وذلک هو إستعفاف المرأة الطاهرة التي تريد أن تحفظ نفسها وتصون كرامتها، وهو ما سماه القرآن بالاستعفاف أي طلب العفة وإيثارها على حب الظهور، وذلک لما بين التبرج والفتنة من صلة، وبين التحجب والعفة من صلة، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

وهكذا يسد الإسلام الطريق على الأسباب التي تدفع إلى الزنا وتكون وسيلة إليه، ولهذا الغرض يحض على الزواج لمن استطاع ويوصي بالصوم لغير المستطيع، فقد روى الإمام البخاري في صحيحه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم شبابا لا نجد شيئا، فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء". [1]

إلى جانب ذلک أرشد النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين إلى جعل الدين والتقوى معيارا لقبول البنت أو الخاطب وأن لا يكون المال أو الفقر سببا للقبول أو الرد، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إن لا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد عريض". [2] يقول الشيخ عبد الرحمن المباركفوري شارحا لهذا الحديث: "وذلک لأنكم إن لم تزوجوها إلا من ذي مال أو جاه ربما يبقى أكثر نسائكم بلا أزواج وأكثر رجالكم بلا نساء، فيكثر الافتننان بالزنا". [3]

---

[1] البخاري: النكاح: ٥٠٦٦.

[2] الترمذي: النكاح: ١٠٨٤)

[3] تحفة الأحوذي: ٤/١٧٣.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم: "تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك". [١]

قال ابن حجر: "فاظفر بذات الدين" المعنى أن اللائق بذي الدين والمروءة أن يكون الدين مطمح نظره في كل شيء، لا سيما فيما تطول صحبته، فأمره النبي صلى الله عليه وسلم بتحصيل صاحبة الدين الذي هو غاية البغية". [٢]

وإن الإسلام لم يقتصر على تشريع النكاح والترغيب فيه بل أزال جميع العوائق والحواجز التي تمنع من الزواج كالمغالاة في المهور والخوف على الفقر من كثرة العيال والأولاد، يقول الله تعالى: "وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم". (النور:٣٢)

يقول ابن العربي مفسرا هذه الآية: "في هذه الآية دليل على تزويج الفقير ولا يقولن كيف أتزوج وليس لي مال، فإن رزقه ورزق عياله على الله تعالى". [٣]

وذكر الحافظ ابن كثير نقلا عن ابن أبي حاتم أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال: "أطيعوا الله فيما أمركم به من النكاح ينجز لكم ما وعدكم من الغنى". [٤]

بل وإن الإسلام يحض على مساعدة من يبتغون الزواج، لأن الزواج هو أسلم طريقة لتصريف الغزيرة الجنسية ووسيلة مثلى لإخراج سلالة يقوم على تربيتها الزوجان ويتعهدانها بالرعاية في جو الحب والود، والرحمة والنزاهة والشرف وعزة النفس. [٥]

(يتبع)

***

---

[١] البخاري: النكاح: ٥٠٩١.
[٢] فتح الباري: ٣٨/٩.
[٣] احكام القرآن: ١٣٦٨.
[٤] تفسير ابن كثير: ٣٨٣/٣.
[٥] وللتفصيل في هذا الموضوع تأليف جيد للدكتور فضل إلهي باسم: "التدابير الواقية من الزنا" فليراجع إليه.

الثورة على الإسلام

الشيخ محمد بن إسماعيل آل بيوض التميمي

(١)

كتب المؤرخ الألماني أرنولد أوف لوبيك يقول "سوف أحكي الآن أشياء عن هذا "الأكبر" قد تبدو غريبة ولكن أكد صحتها في شهود يوثق بهم، لقد استطاع هذا الشيخ بطرقه السحرية أن يغري قومه بأن يعبدوه ولا يقتنعوا بإله سواه، وأغواهم بطريقة غريبة مستخدما الآمال والوعود بالمسرات والبهجة الخالدة حتى جعلهم يفضلون الموت على الحياة".

هذه إحدى الدواهي على الإسلام، بل هي الطامة الكبرى والمعضلة العمياء، ومع تصريحهم بهذه الحماقة والتزامهم لهذا المذهب السخيف يتعاطون بزعم الدخول تحت سمة الملة الإسلامية ويتضاهون بملابسة الشريعة المحمدية، وأنّى تتلاقى الأضداد. وشتان بين الغي والرشاد، والإصلاح والإفساد.

لقد كانت ثورة على الإسلام تهدف إلى شيء واحد واحد فقط، هو تفجير الإسلام من داخله، واغتياله ببرهانه وسيفه، تلك حقيقة سعيهم وكدهم، وهذا تاريخهم وواقعهم، فجأة بعد عامين ونصف العام من ولايته وفي منتصف شهر الصوم أعلن قيام "العهد الألفي السعيد"... ففي اليوم السابع عشر من شهر رمضان من عام ٥٥٩هـ (٨ أغسطس ١١٦٤) تحت صعود العذراء وعندما كانت الشمس في برج السرطان أمر "حسن" بإقامة منبر في فناء "ألموت" يواجه الغرب ترفرف على أركانه الأربعة رايات بيضاء وحمراء وصفراء وخضراء ... وجاء الناس من مختلف الجهات وكان قد استدعاهم من قبل إلى "ألموت" وتجمعوا في الفناء، فالذين أقبلوا من الشرق لزموا الجانب الأيمن والذين جاءوا من الغرب وقفوا على الجانب الأيسر والذين جاءوا من الشمال، من رودبار والديلم، وقفوا في مواجهة المنبر، ولما كان المنبر يواجه الغرب لذلك كانت ظهور المجتمعين نحو مكة — وما الذي حدث؟...

بعد قرابة الظهر نزل "حسن" من القلعة مرتديا ثوبا أبيض وعمامة بيضاء، وتقدم نحو المنبر من الجانب الأيمن، وارتقاه في خطى وئيدة، وتوجه بالتحية ثلاث مرات، الأولى إلى أهل الديلم ثم إلى الذين على اليمين ثم إلى الذين على اليسار، وظل جالسا برهة، ثم وقف مرة أخرى وهو ممسك بسيفه وتحدث بصوت جهوري مخاطبا سكان العوالم الثلاثة عالم

الجن وعالم الإنس وعالم الملائكة، فأعلن أنه قد وصلته رسالة من الإمام المختفي تحمل تعليمات جديدة تقول: إن إمام عصرنا يبعث إليكم تحياته وسلامه ويبلغكم أنه دعاكم خدمه الخصوصيين المختارين، وأنه حرركم من أعباء قواعد الشريعة وأحضركم القيامة، وعندما أتم "حسن" خطبته نزل من على المنبر وصلى ركعتين أسماهما صلاة الاحتفال، ثم أمر بالمائدة فمدت، ودعا الناس إلى قطع صيامهم والمشاركة في الطعام والابتهاج".

نعم فهو احتفال "العهد الألفي السعيد" وكلها "ألفيات" ولكل "ألفية" احتفال، فمن يكون "حسن" هذا؟ وما هي نحلته؟ إنه حسن بن محمد بن بزرجميد، القيادة الثالثة لقلعة "ألموت" الإسماعيلية بعد موت الحسن الصباح كما يقول المؤرخ الجويني: وفي ليلة الأربعاء ٦/ربيع ثان عام ٥١٨ه (٢٣ مايو ١١٢٤) انطلقت روحه عائدة إلى نار الله وجحيمه.

وتولى بزرجميد ومن بعده ابنه محمد ومن بعده الحفيد "حسن" الذي أعلن انتهاء الشريعة الإسلامية على هذا النحو الجنائزي المهيب، وهؤلاء كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في بيان حقيقة دعوتهم المسماة "البلاغ الأكبر، والناموس الأعظم" -مضمون البلاغ الأكبر جحد الخالق تعالى، والاستهزاء به، وبمن يقربه، وحتى قد يكتب أحدهم اسم الله في أسفل رجله، وفيه أيضا جحد شرائعه ودينه وما جاء به الأنبياء-.

لقد كان ولا تزال ثورة يقصد بها فكريا وعمليا اجتثاث الإسلام من جذوره، وأنّى لهم؟!

(٢)

قال ابن الأثير: وحدثني بعض الأسرى منهم أن له والدة ليس لها ولد سواه ولا يملكون من الدنيا غير بيت باعته وجهزته بثمنه وسيّرته لاستنقاذ البيت المقدس، فأخذ أسيرا، وكان عند الفرنج من الباعث الديني والنفساني ما هذا حده، فخرجوا على الصعب والذلول براوبحرا من كل فج عميق -فقد كان ادعاء اضطهاد النصارى وانتهاك حرمة الأماكن النصرانية المقدسة من طرف المسلمين -إذ ذاك- كان هذا الادعاء من أبرز الأسباب التي اتخذت وسيلة لإثارة العواطف والقيام بالحرب الصليبية خصوصا لدى الطبقات الشعبية المسيحية بأوروبا -كان الكثير ممن شاركوا في الصليبيات تدفعهم عاطفة دينية جياشة-.

أما المسلمون فقد اقتصروا على أداء شعائر دينهم التعبدية، وأسقطوا الإسلام اجتماعيا وتحولوا من قيمه إلى قيم كقيم الجاهلية، قال أبو شامة -المؤرخ الشهير-: "كانوا كالجاهلية همه بطنه وفرجه، لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا".

وقال ابن كثير: قام الشيخ أبو إسحاق الشيرازي مع الحنابلة في الإنكار على المفسدين، والذين يبيعون الخمور، وفي إبطال المؤاجرات وهن البغايا... كانت الأمة تعيش انهيارات اجتماعية، وفسادا اقتصاديا واضطرابا فكريا، وافتقرت إلى القيادة العلمية والعملية، فترنحت بين الشهوات والشبهات، وتهيأت بالذل والصغار للسقوط تحت أقدام أعدائها... وقد كان البابا "أوربان الثاني" يعلن في خطبته بمجمع "كلارمون" في نوفمبر (١٠٩٥م–٤٨٨هـ) "ليست (هذه الحرب) لاكتساب مدينة واحدة فقط، بل هي أقاليم آسيا بجملتها مع غناها وخزائنها التي لا تحصى، فاتخذوا امحجة القبر المقدس، وخلصوا الأراضي المقدسة من أيدي المختلسين، وأنتم أملكوها لذواتكم، فهذه الأرض كما قالت التوراة تفيض لبنا وعسلا".

وبطرس الناسك يجول في بلاد فرنسا وبعض ممالك أوروبا راكبا على بغل قابضا بيديه على الصليب، مناديا بحرب الصليب في الطرقات والأزقة والكنائس والأديرة مناديا بأن مسيحي الشرق يقاسون العذاب ألوانا تحت حكم المسلمين، مزكيا أقواله بوصفه جبل صهيون ومكان الجلجلة وبستان الزيتون، وقد كان أحيانا يستصحب بعض مسيحي الشرق الذين كان يقابلهم ببلاد أوروبا، وكانت الناس تتقاطر إليه مزدحمين حوله مقبلين أرديته، فارشين الأعشاب في الأرض ليمر عليها، متخاطفين أجزاء وشاح بغله بمنزلة ذخائر لهم ملقبيه بقديس ونبي، باكين معه على شقاء أورشليم (بيت المقدس)، متعهدين بصرف موجوداتهم وخيراتهم وحياتهم لأجل إنقاذها من الأسر والهوان.

كل هذا والأفكار الباطنية والجهليات الصوفية والآراء الفلسفية تدمر داخليات العالم الإسلامي، وتسحق قواعد الشريعة بشتى التأويلات في مجتمعات تعيش حالة من اللاوعي، وكأنها خراف تقاد إلى مسالخها وتنادي بحياة جزاريها، واتخذت الفلسفة الباطنية طابع التحدي للشريعة في اتجاه أسسه ابن سينا (٣٧٠–٤٢٨هـ) يهدف في النهاية إلى إحياء المجوسية، وكان العلماء والفقهاء في مستوى من الضحالة الفكرية، لا تعينهم على التصدي– لذلك لم يستطيعوا الوقوف أمام تيار الفلسفة التي أحدثت موجة حادة من القلق العقائدي لدى المثقفين والاضطراب الاجتماعي لدى العامة -!!.

وفي الوقت الذي كانت المجتمعات الإسلامية تعاني الفساد والضعف في ميادين الحياة المختلفة، ورؤساء العالم الإسلامي على حالهم من التفكك والصراع، دخل الصليبيون فأطاحوا بملك سلاجقة آسيا الصغرى واستولوا على عاصمتهم نيقية. ثم انحدروا

إلى بلاد الشام وهددوا الأخوين – رضوان في حلب، ودقّاق بدمشق – تهديدا بالغا حتى اضطرا الدخول في طاعة الصليبيين وأداء الجزية. وقد رضيا بهذا الهوان لإنقاذ الرعية ولرعاية حرمة الوطن الإسلامي، وأخيرا استولوا على إنطاكية عام ٤٩١هـ وسقط بيت المقدس في أيديهم عام ٤٩٢هـ /١٠٩٨م.

وفي كل مدينة أو قرية دخلوها اقترفوا المذابح الوحشية وأعملوا السيف في السكان، وخاضت خيولهم بدم الضحايا من الرجال والنساء والأطفال.

(٣)

قال ابن الأثير: في هذه السنة "أي سنة ست وثمانين وخمس مائة" خرج ملك الألمان من بلاده، وهم نوع من الفرنج من أكثرهم عددا وأشدهم بأسا، وكان قد أزعجه ملك الإسلام البيت المقدس.

نعم ففتح بيت المقدس كان بمثابة الواقعة على ملوك النصارى في الغرب ومن كان يظن ذلك ممكنا، وصوت الأمة حبيس بين جدران خوفها لا تستطيع معه همسا، ومن المضحكات المبكيات أن وُلاة الأمر قبل صلاح الدين كانوا يراقبون العلماء لإسكات الأصوات التي تنادي بالجهاد، وفي الوقت الذي تأسست فيه أربع دول صليبية أهمها دولة بيت المقدس، لم يستطع إمام كبير كأبي بكر الطرطوشي وهو بمصر، أكثر من أن يؤلف رسالة في تحريم جبن الروم، لا لأنه جبن ولكن لأن مصدره النصارى، وخطرهم قابع في أربع مدن إسلامية كبرى، وفي الحين ذاته محدق بكل مسلمي المشرق بعد أن أحدق بمسلمي الأندلس بسقوط طليطلة في ٤٧٨هـ /١٠٨٥م ثم جزيرة صقلية في ٤٨٤هـ /١٠٩١م لكن الأفضل وزير العبيديين لم يتركه – أخرجه إلى الفسطاط قرب القاهرة وحجّر عليه استقبال طلبته وأسكنه في مسجد قرب الرصد وهو مسكن سرعان ما بغضه الشيخ، فكان يقول لخادمه ساخطا: "إلى متى نصبر؟".

وهو نفسه – رحمه الله – يرى الأمة ويشهد عليها في تلاعبها بدينها، ويقول في كتابه "الحوادث" بعد كلام له في البدع وخروج النساء متبرجات – قال: وأعظم من ذلك ما يوجد اليوم في هذه الختم من اختلاط النساء بالرجال وازدحامهم وتلاصق بعضهم ببعض حتى بلغني أن رجلا ضم امرأة من خلفها فغشيها في مزدحم الناس.

وجاءت إلينا امرأة تشكو فقالت: "حضرت عند الواعظ في المسجد الجامع فاحتضنني رجل من خلفي والتزمني في مزدحم الناس فما حال بينه وبين ذلك إلا الثياب".

وقال: فيختلط الرجال والنساء والصبيان والغوغاء، وتكثر الزعقات والصياح وتختلط الأمة، ويذهب بهاء الإسلام ووقار الإيمان.

لقد كانت الأمة تصارخ بعبادتها لكنها لا تفقه الحد الأدنى من حقيقتها، ولكنه نوع من الهروب بخداع النفس، والصليبيون يدركون بمكرهم هذا وتصرخ أشعارهم:

الإفرنج يجوسون المدينة. شاهري السيوف.

لا يشفقون على أحد، حتى على الذين يتوسلون الرحمة.

سقط شعب الكفار تحت ضرباتهم مثلما.

تسقط جوزات البلوط المهترئة من شجرة البلوط.

حين يهزون أغصانها.

ومُدوِنو الأخبار ومؤرخو الأحداث سنة بعد سنة من الغربيين يصفون هذا الحدث بقدر متفاوت من الإسهاب والتفصيل، ويتحدثون بتفاصيل طبيعية عن أعمال "جنود الرب" التي تبدو لهم جديرة بالمدح والثناء.

والمسألة بديهية فالجسد الضعيف المنعدم المناعة والموزع الطاقات هو الذي يصاب بالمرض العضال عندما يتعرض لمؤثراته، والجسد القوي هو الذي يتصدى للمرض ويقاومه حتى إذا ما أصيب بالعدوى فإنها تكون عارضة تزول بسرعة...

من هذا المنطلق نستطيع أن نفهم سبب النجاحات الباهرة التي حققها الصليبيون عندما وصلت جموعهم سنة ١٠٩٨م إلى مشارف بلاد الشام، فدخلت هذه الجموع البلاد واحتلت أجزاء كبيرة منها دون مقاومة تذكر...

إنها قد فعلت ذلك لا لأن هذه الجموع تميز أفرادها بمميزات خاصة خارقة للعادة— كما أراد جيل أوروبي سابق من الباحثين أن يقول—ولكن لأن الخصم العربي الذي واجهته كان من الضعف والتمزق بمكان سهّل مهمة الغزاة ويسّرها.

ولما جاء "صلاح الدين" وعاد بالأمة توحيدا ووحدة وشرعة ومنهاجا وفتح الله على يديه المباركتين "بيت المقدس" لم يصدق الناس!.... وقال الشاعر:

أترى مناما بعيني أنظر   القدس تُفتح والنصارى تُكسر

نعم كان وكانت الأمة وكان.... أن غرق ملك الألمان في نهر قريب إنطاكية نزل ليستحم فيه وكفى الله شره، وتشتت جمعه.

***

اللغة العربية

رحلتي مع اللغة العربية

د. صهيب حسن عبد الغفار / لندن

نشأت في بيت يبدأ كباره وصغاره نهارهم بقراءة كتاب الله، ولو لم يكن للأطفال دراية بمعناه، فالحروف هي من نفس لغتهم (الأردية)، غير أن تركيب الجُمل على غير ما اعتادوه في لغتهم، وكان لي حظ في تعلم مبادئها في السنتين الأخيرتين من الثانوية وفي السنة الأولى من الكلية، إلا أن هذه الدراسة كانت هزيلة في مادتها لا تؤهل الطالب لقراءة حرّة في كتاب آخر غير الكتاب المدرسي المقرر في الفصل.

مضت السنة الأولى في الكلية العصرية وإذا بالوالد يأمرني بمغادرة الكلية نهائيا حتى أتفرّغ لدراسة العلوم الإسلامية، وأحذو حذوه في تلقّي العلم الشرعي، وأحافظ على تقاليد عائلة "الحسن" المعروفة بالعلم، فقد تلقّى الوالد الدراسة الدينية في إحدى المدارس في "دلهي" وهي المدرسة الرحمانية التي خرّجت جيلا من أفاضل العلماء، ومن قبله درس أبوه في نفس المدرسة، أما جدّه فكان من نوابغ العلماء الذين دافعوا عن السنة على صفحات جريدة "ضياء السنة" الصادرة من كلكتّا في بداية القرن العشرين، فكان لزاما عليّ أن أواصل هذه الرحلة التي بدأها أجدادي في الهند، وانتقل بها الوالد إلى باكستان إبّان نشأتها.

كانت المناهج المتّبعة في المدارس العربية آنذاک تتبع منهجا عقيما في تدريس اللغة العربية حيث كانت الدراسة قاصرة على كتب مثل "الكافية" التي تجعل الطالب نحويا من دون أن يقدر على كتابة فقرة واحدة سالمة من الخطأ، وتجعله حافظا للمتون من غير أن يقرأ قراءة صحيحة لمقال في جريدة عربية.

فلذلک اختار لي الوالد رحمه الله كتابا حديثا في النحو، سهلا في أسلوبه، مرنا في تمارينه، جامعا لكلمات من العصر الذي كنا نعيشه، ألا وهو كتاب "النحو الواضح" بأجزاءه الستة، فكان عليّ أن أقرأ على الوالد القاعدة وشرحها، ثم أكتب جميع التمارين من أولها إلى آخرها، وهكذا حبّب إليّ اللغة العربية وجمع لي مع النحو والصرف كتاب "البلاغة الواضحة" التي ألّفت على منوال النحو الواضح، وأردفها بكتاب القراءة الرشيدة بأجزاءها الأربعة التي جمعت بين نصوص أدبية منشورها ومنظومها، وكانت لي بفضل هذا الكتاب

جولة فكرية في مصر في أرضها وسماءها، في أنهرها وجداولها، وفي جبالها ووديانها، وإذا بي أردّد إلى الآن أبياتا من هذا الكتاب:

مصر الحبيبة لي وطن وهي الحمى وهي السكن
اليوم قلّ نصيرها وتقدّمتها غيرها
هبّوا اعملوا الرقيها فالجد للعلياء سَنَن

وكان يحبّب إلي هذه اللغة بتوفير قصص من كتابة الكيلاني، وهي سهلة التعبير، مفعمة بالمعاني، عريقة في تاريخها، تجول بك في غابر الأزمان، ويلتقط لك منه الجواهر الثمان، فقدرآني ولوعا بالقصص والروايات، لا تقع يدي على مثل هذه الكتب باللغة العربية إلا وأتيت عليها بنهم وتطلّع.

ولما رآني متمكنا بعض الشيء من قراءة الكتب العربية جعل لي هدفا معينا وهو الإعداد لدخول اختبار للحصول على شهادة "العالم بالدراسات العربية" التي كانت تشرف عليها جامعة بنجاب، ثم لشهادة "الفاضل بالدراسات العربية" وكانت تعتبر أعلى شهادة في مناهج الألسنة الشرقية وجعل لي سنة واحدة لكل مرحلة، وإن كان الطلاب يحتاجون إلى ضعف هذه المدة عادة حتى يخوضوا في اختبار كل واحد منها.

وكان المنهج لكلتي المرحلتين يضم أجزاء تفسيرية ونصوصا من كتب الحديث الجامعة، وشيئا من الفقه والسيرة وحكمة التشريع، بالإضافة إلى التراث الأدبي العربي، مثل المعلقات السبع، وأجزاء من ديوان الحماسة، وديوان المتنبي، ومختارات من المفضليات، ودراسة "الوسيط في الأدب العربي" مع كتاب "أزهار العرب" من تأليف أحد المستشرقين، وكتاب "كليلة ودمنة" الشهيرة و"مقامات حريري الأدبية".

وكنت أقرأ بعض هذه الكتب على الوالد وبعضها –كطالب غير متفرغ– في مدرستين من مدارس مدينة "لايلبور" (فيصل آباد حاليا) ألا وهما الجامعة السلفية ودار القرآن والحديث.

وقُبيل الاختبار بأيام كنت أحمل بعض هذه الكتب صباحا حتى أنتهي إلى حديقة عامة فأفترش الأرض تحت شجرة من الأشجار فأكب على القراءة إلى أن يدفعني الحر إلى مغادرة المكان لأعود إليه بعد يوم.

ودخلت الاختبار وخرجت منه بأظفر ما كان، فكنت الأول في كلتي المرحلتين، وذلک عام ١٩٥٩ و١٩٦٠ الميلادي.

وقد شهدت هذه الفترة نشاطا رائعا قلّما يُرى مثله في مدن باكستانية أخرى، فقد لحق بالفترة المذكورة عدد من الطلبة العرب —من العراق والشام— خاصة بكلية الزراعة وعلى رأسهم الأخ الفاضل صالح السامرائي العراقي الذي كان طالبا في مادة الزراعة، ولكنه كان يزرع حب الدين واللغة في كل من صادقه وآخاه، فكنت أزوره في مسكنه بالكلية حتى أتمرّن على التحدث باللغة العربية، وكلما رأيت عنده جريدة من جرائد الشام أو العراق استعرته لأقرأها، ووقفت آنذاک على جريدة "الشهاب" اللبنانية، وكان السيد صالح يزور الوالد الشيخ عبد الغفار حسن، ويزور صديقه الحميم الشيخ عبد الرحيم أشرف، وكان لي حظ الشرف في الاستماع إلى حديثهم، وقد بدأ الوالد يقيم اجتماعا شهريا باسم (جمعية إحياء لغة القرآن الكريم) يشجّع فيه طلبة المدارس العربية على إلقاء كلمات باللغة العربية، ولم يكن الطلبة متعودين على مثل هذا النشاط فكانوا يشاركونه على مضض، وإذا حضروا اجتماعا واحدا غابوا عن عدة اجتماعات، وبما أنني كنت مسؤولا لعقده كنت أحاول توجيه الدعوة إلى مشايخ يرتضون هذا العمل سواء كانوا من المدارس العربية أو من الكلية الحكومية التي سبقت لي الدراسة بها، وكان الأخ صالح السامرائي يشجعنا بحديثه الحلو كلما سنحت له الفرصة بالحضور، وأذكر أني التقطت من فمه هذا المثل العربي في إحدى جلسات الجمعية: "إني أكلت يوم أكل الثور الأبيض"، ولم تكن هناک جرائد باللغة العربية في باكستان غير جريدة "العرب" التي كانت يصدرها السيد عبد المنعم العدوي أحد العرب في المهجر المقيم في كراتشي، وكانت تتحدث عادة عن النشاط الدبلوماسي العربي في باكستان معبرا عن كلمات السادة السفراء الكرام في محافل دبلوماسية أو مناسبات دينية، وكنا نستلم آنذاک نشرتين باللغة العربية من كتابة الطلبة، أحدهما "الرائد" الصادرة من ندوة العلماء بلكناؤ، والثانية باسم "الداعي" الصادرة من مدرسة ديوبند ولم تكن الكتابة بحروف الرصاص شائعة فكانت النشرتان بخط اليد بحروف ظاهرة بارزة.

وكنت أظفر بجرائد عربية أخرى مثل "قافلة الزيت" الصادرة من الظهران" و"دعوة الحق" الصادرة من الرباط، ونشرات عربية بدأت تأتي من السفارة الأمريكية باسم الجامعة التي أنشأها الحكيم عبد الرحيم أشرف مع الوالد، ألا وهي جامعة تعليمات إسلامية، فكان لي

الحظ الأوفر من قراءة هذه الجرائد، فإن طلبة المدارس العربية كان يهمّهم دراسة المتون المقررة عليهم وكانوا يرون عملنا هذا عبئا لا طائل تحته.

وقد أكون مقصرا إذا لم أنوّه بجهود الأخ محمد بشير السيالكوتي الذي حببت إليه اللغة العربية كما حببت إليّ، والذي لا يزال يحمل علم هذه اللغة في باكستان مع وعورة الطريق وقلة الأنصار وضيق المرافق، فقد بدأ يصدر منذ عدة سنوات جريدة "نداء الإسلام" وقد أثبتت جدارتها وكسبت احترام العلماء والأساتذة، ولكنها لم تستطع أن تواصل المسير لظروف مادية حالت دون استمرارها.

وكذلك جهود الأخ زاهد أشرف ابن الحكيم عبد الرحيم الذي حمل راية الجامعة المذكورة بعد وفاة والده وحافظ على السمعة الطيبة التي كانت تتمتع بها هذه الجامعة منذ نشأتها، وخاصة في مجال ترويج اللغة العربية.

وشجّعني الوالد على ترجمة كتاب "مذكرات الدعوة والداعية" للشيخ حسن البناء، وكتاب "تذكرة الدعاة" للشيخ بهيّ الخولي باللغة الأردية، فكنت أقتطع من أوقاتي —مع إعداد للاختبارات المذكورة— لأقوم بالترجمة يوميا حتى أكملت الكتابين، وقد نشرت أجزاء من الكتاب الأول على صفحات جريدة "المنبر" التي كان يترأسها الحكيم عبد الرحيم أشرف، أما الكتاب الثاني فصارت ترجمتها طي النسيان، فلا أدري هل ضاعت مسوّدتها بين رفوف مكتب الجريدة أو أكلتها الديدان.

أذكر ذلك اليوم —وكانت جامعة تعليمات إسلامية— في بداية أمرها ولم تكن لها بناية ولا عمارة، وإنما كانت عبارة عن فصل واحد أرتاده أنا مع طالب أو طالبين في النهار، ويرتاده مجموعة من الكبار لدراسة اللغة العربية مساء، وكان اليوم يوما عزيزا في تاريخ الجامعة حيث ورد في المدينة عالم من أجلة علماء الهند الناطقين بلغة الضاد كأهلها، ألا وهو الشيخ أبو الحسن الندوي، فدعته الجامعة ودعت وجهاء مدينة "لايل بور" بهذه المناسبة، فكانت حفلة شيقة أتيحت لي فيها فرصة إلقاء كلمة الترحيب، وتكلم فيها الشيخ الندوي فأفاد وأجاد، ولما رأى مني حرصا على اللغة العربية دعاني إلى مكان إقامته —وكان يزور شيخا من شيوخ طريقة، ألا وهو الشيخ عبد القادر رائي بوري— في البلد، وأملى عليّ مقالا أراد أن يرسله إلى بعض الجرائد، وحفظت من إملاءه ذلك اليوم هذا البيت من الشعر:

وجبال لبنان وكيف بقطعها   شتاءهن صيف وصيفهن شتاء

وقع بيدي آنذاك إحدى روايات جرجي زيدان، فأعجبني سرد كلامه فقرأتها على طول محتواها وقلة مغزاها، ووجدت عند بعض المشايخ مجلدات من جريدة "الهلال" المصرية فكنت أنظر إليها بشغف وأستعيرها من الشيخ ثم أردها إليه لآخذ المزيد.

كنت آسفا على قطع دراستي بالكلية الحكومية يوم أن أمرني الوالد أن أغادرها، ولكن بعد أن حصلت على شهادتي "العالم" و"الفاضل" صارت لي الفرصة أن أدرس بنفسي منهج الكلية (وهو منهج جامعة بنجاب أصلا) في مادة اللغة الإنجليزية لكل من مرحلة الثانوية العليا و"البكالوريوس" حتى أدخل في اختبار الجامعة لكلتي المرحلتين، فأظفر بشهادة البكالوريوس في آداب اللغة الإنجليزية بعد سنتين، وكنت خلال هذين العامين ١٩٦١، ١٩٦٢م أقوم بتدريس اللغة العربية في مدرسة ثانوية أولا، ثم في معهد خاص فتحه أحد الأفاضل الكرام (ألا وهو الدكتور إسرار أحمد) باسم "دار القرآن" في مدينة "ساهي وال" أراد أن يجمع فيه بين الدراستين" دراسة المناهج الحكومية، وذلك بطريق التحاق الطلبة بالكلية الحكومية ودراسة اللغة العربية كدراسة خاصة بين جدران الدار على يدي، ومن الأسف لم يلتحق بهذه الدار إلا أربعة طلاب، وكان من بينهم شقيقه الصغير أبصار أحمد الذي حاز على شهادة الدكتوراه فيما بعد من إحدى جامعات بريطانيا.

وكنت خلال هذه الفترة لم أنقطع عن دراسة العلم، فكنت أواظب على حضور بعض الدروس في أصول الفقه وعلم الكلام على أساتذة أفاضل في "جامعة رشيدية" بنفس البلدة.

وقد رأيت أنني —بعد انقطاعي عن الكلية الحكومية عام ١٩٥٨م إلى منتصف عام ١٩٦٢م— قضيت أربعة أعوام كاملة وشغلي الشاغل هو اللغة العربية وآدابها وقراءة كتب السنة وشروحها مع تعرج على التفسير والفقه وغيرهما من العلوم حسب مقتضيات المنهج، غير أنني كنت أشعر بخواء في طلبي للعلم حيث كان معظم دراستي على الوالد وعدد من المشايخ الآخرين بدون أن تكون هناك دراسة منتظمة في جامعة من الجامعات، وكنت أجد نفسي كثيرا ما أناطح معضلات اللغة ومغاليق المتون فأفتحها بمعاجم اللغة أو شروح الشراح، فكنت أود لو كانت لي فرصة الالتحاق بمعهد من المعاهد كطالب منتظم، وجاءت هذه الفرصة أخيرا وما أجملها فرصةّ! أنشئت الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٩٦١م وبدأت تستقبل الطلاب من أنحاء العالم، وجاءت الدعوة مفتوحة إلى عدد من المشايخ في باكستان لترشيح عدد من الطلاب، وكان الوالد على اتصال بالشيخ السيد داود الغزنوي أحد أساطين أهل الحديث في

باكستان، فرشّح اسمي لأكون من رواد طلبة العلم الباكستانيين بالجامعة، وما إن عرفت بالبشرى السارة إلا وتوجهت إلى كراتشي عاصمة البلاد آنذاك أعد أهبتي للسفر، فكان لي آنذاك أول جواز أراه في حياتي وأول سفارة عربية أزورها وأول رحلة بحرية أقوم بها مع سبعة عشر طالبا آخرين على متن سفينة الحجاج، وكانت أكبر باخرة تلك اليوم، وقد حملت خمسة آلاف من الحجاج الباكستانيين، وعادت بهم من ميناء جدة إلى ميناء كراتشي، وكانت تعتزم العودة إلى المملكة لترجع بالمزيد من الحجاج، واستغل السفير السعودي وجود الباخرة راسية في الميناء، فقطع لنا التذاكر عليها، فكانت لنا فرصة أخرى ما كنا نحلم بها وهي أن نصل إلى أرض الحجاز مع طول الانتظار يحدوه شوق وارف مع تطلعات وآمال بعيون مترقبة لرؤية أرض التقى فيها المصطفى من الملائكة بالمصطفى من البشر، وبآذان مرهفة لسماع تلك اللغة بلسان أهلها التي عشقناها وألفناها منذ نعومة أظفارنا.

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلبا فارغا فتمكنا

ودّعت الوالد والأشقاء وأنا ألوّح لهم بيدي من فوق أحد طوابق الباخرة، وهم وقوف على الميناء يرونها تبتعد رويدا رويدا من الساحل حتى لم أعد أراهم، وبقيت مع أصحابي أتعرف عليهم لأول مرة في حياتي، وكنت أرى نفسي أصغر القوم، ولم يكن بالباخرة إلا نحن، المجموعة الأولى من الطلاب مع طاقم الباخرة وشاب إندونيسي وحيد من غير بني جلدتنا، فكنا نحاول أن نتعرف عليه فيحول بيننا وبينه عائق اللغة، وكانت عنده كلمات من اللغة العربية، فكان حديثنا معه كالتالي:

من أين أتيت؟ فيقول: إندونيسيا

كيف حال المسلمين في إندونيسيا؟ فيقول: في مساجد كثيرة والحمد لله، في مدارس كثيرة والحمد لله، في سينما كثير والحمد لله.

وبقيت الباخرة تمخر عباب البحر، وتصارع الأمواج، والشهر كان شهر يوليو، وكنا في عز الصيف حيث يواجه البحر الهندي تلاطما هائلا وهيجانا ثائرا حتى تبدو هذه الباخرة العظيمة كدمية تافهة بلا حول ولا قوة، وبدأنا نشتاق إلى رؤية الأرض، وقد مرّت علينا خمسة أيام وإذا بنا نقترب ساحل اليمن حتى أرست الباخرة في ظهيرة يوم بميناء عدن المحمية البريطانية آنذاك، وها هي أول مرة تقرع أسماعنا أصوات عربية من بلد عربي عريق في عروبته أصيل في لغته، وإذا به يسمح لنا أن ندور دورة في البلد، فنزلنا في قارب صغير قرّبنا إلى الميناء،

ومنه بالأوتوبس مرورا بالجبال والوديان إلى وسط المدينة التي استقبلتنا بواجهات المتاجر مكتوبة بالعربية وصيحات وصراخ باللهجة اليمنية، فكنا نستغرب كل شيء يقع عليه بصرنا، فكل جديد له لذة وكيف إذا كان حلما يتحقق أو أمنية تنقلب إلى حقيقة!!

واصلنا رحلتنا ليومين آخرين صحبنا الساحل العربي طول هذه الرحلة حتى قيل لنا إننا كدنا نقترب من موضع يقال له "يلملم" وهو ميقات أهل اليمن فأحرمنا للعمرة ولبّينا لأول مرة في حياتنا.

نزلنا في ميناء جدة ونحن في شوق وغرام وتلهف للبقاع المقدسة، واستقبلنا مندوب الجامعة "السيد اللنجاوي" هذا الرجل الكريم الوادع المجامل الذي ترك علينا جميعا انطباعا جميلا للكرم العربي والمعاملة الحسنة.

أدّينا شعائر العمرة وحظينا برؤية بيت الله الحرام والطواف حوله والسعي بين الصفا والمروة وشربنا من ماء زمزم، وكان عليه بناء مرتفع فيدخل فيه الداخل ويقف على الحائط المحيط بالبئر، فيطلّ فيه ليقع بصره على غوره فيرى الماء يلمع تحته، فكانت تجربة فريدة في الحياة لا يمرّ بها زائر اليوم، فقد اختفى البئر تحت أرض المطاف الآن، ولا يُرى ماؤه إلا خارجا من الصنابر، ولم يكن آنذاك من البناء الحديث إلا توسعة الملك سعود بن عبد العزيز، فكنا نخرج من باب الملك سعود لندخل في أزقة ضيقة تكتنفها البيوت والمتاجر، فمنها ما يذهب بنا إلى الجياد ومنها ما يدفعنا إلى المسفلة أو السوق، وكلها تلاشت الآن لتنقلب إلى ساحة واسعة شاسعة ازدانت بأحدث العمائر والأبراج من كل الأطراف، ولا يمكن لزائر اليوم أن يتخيل الأجواء خارج البيت الحرام ذاك الوقت إلا إذا زار القدس وحام حول المسجد الأقصى.

وبعد أن تمت الزيارة والعمرة اتجهنا إلى مدينة المصطفى لتكون لنا مقرا ومسكنا للسنوات الأربعة القادمة.

دخلنا الجامعة في مبناها القديم وكانت عبارة عن فلل وشقق، وبالأحرى — مقرات للجيش في وقت من الأوقات بعيدا عن المدينة نفسها — وقد وصلناها في عطلة الصيف حيث خلت المباني من الطلاب ولم يكن فيها إلا نخبة من موظفي الجامعة وكان على رأسهم الشيخ عبد الله الزائد الذي استقبلنا استقبالا حارا وأكرمنا بالوفادة وخصص لنا مخادعنا بعد استضافتنا ثلاثة أيام في فندق قريب من المسجد النبوي.

ورحّب بنا في اليوم التالي رئيس الجامعة الشيخ عبد العزيز بن باز وأمينه العام الشيخ محمد ناصر العبودي والقائم بشؤون التعليم الشيخ عطية محمد سالم فكان لقاء مبدئيا ولكن فتح لنا معهم صلة ودية أخوية لا أزال أشعر بحلاوتها.

وكان علينا أن نقضي بقية أيام الإجازة نعدّ لاختبار القبول، فأعطينا كتابا في اللغة وأخرى في العقيدة، أذكر منها قطر الندى في النحو وكتاب التوحيد في العقيدة، وجاء يوم الاختبار، وطلب منا الشيخ عطية محمد سالم إنشاء مقال، وأذكر إنني كتبت مقالا في سقوط الخلافة العثمانية وحالة الأمة المسلمة بعدها، وجاءت النتيجة لأكون أنا أحد الثمانية الذين وقع عليهم اختيار ليلتحقوا بالدراسات العليا في كلية الشريعة، الكلية الوحيدة التي فتحت بها الجامعة أبوابها، أما إخواننا الاثنا عشر الباقون فالتحقوا بالقسم الثانوي.

إنني سعيد بأن أقول: كان لنا حظ كبير من التتلمذ على كوكبة من الأساتذة الذين ازدانت بوجودهم الجامعة فكانوا ألمع من طلع في سماء فقه الدين بجميع أبوابه وآداب اللغة بجميع مشاربه.

حضرت كلمات الداعية المربي للأجيال الشيخ ابن باز في مجلسه ومسجده، في المجاميع والندوات وفي مجالس توعية الحج والزيارات، فوجدته خير مربّ وخير مرشد، سمحا لطيفا في معاملته سخيا جوادا في إعطاءه كريما خير الزوّاره متواضعا حليما فرفع الله شأنه في الدنيا وأرجو أن يحشر مع الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين في الآخرة.

واستفدت من دروس التفسير والنحو للمفسر الأصولي الكبير الشيخ محمد أمين الشنقيطي الذي إذا استرسل في الكلام جاء بنوادر الأقاويل من التفسير والأصول، وعرّج على بدائع الاستشهاد من ألفية ابن مالك وألفية العراقي وغيرهم من أساطين اللغة والأدب.

أذكر أن رئيس جامعة في طهران زار فصلنا أيام الحج وكان الدرس درس الشيخ فاستمع إلى آخره ثم طلب من الشيخ كلمة موجزة فقال: أيها الشيخ! حضرت درسک اليوم فلم أر في حياتي شيخا مثل ابن جرير في التفسير أو البخاري في الحديث أو كسيبويه في النحو أو ابن الهمام في الفقه، فلله درک!! واستمع الشيخ إلى كلمته فلما انتهى لم يزد على قوله: إيش يقول؟

ولازمت دروس الشيخ محمد ناصر الدين الألباني فرأيت جده واجتهاده ومثابرته على الدرس وتواضعه الجم مع الطلبة عندما يفترش الحصبة أمام الفصل أثناء فترة راحة بين الدرس ليجيب على أسئلتهم ويشفي غليلهم.

ورأيت شيخنا الفاضل المصري الأصل النجدي المآل الأستاذ عبد القادر شيبة الحمد وهو يدرسنا الحديث بعد رحيل الشيخ الألباني، فيأتي بفصيح الكلام وكأنه يخطب خطبة في الأنام فيجول ويصول ويبدع ويفيد.

وأخذنا دروسا في التوحيد على يد الشيخ الوقور عبد المحسن حمد العباد الذي كان يحوم حول عقيدة الطحاوية كأنه يحفظها بمتنها وشرحها فيشرحها ببساطة القول بإسهاب مرة وإيجاز آخر.

وقد لحق والدي الشيخ عبد الغفار حسن كمدرس للحديث وأصوله بعد مضي سنتين من الدراسة، فتولى درس أصول الحديث لفصلنا ثم أضيف إليه مادة جديدة وهي مادة الأسانيد فتجدد لقاؤه والقراءة عليه، وجاء معه الشيخ الحافظ محمد الغوندلوي من باكستان أيضا، وهو علامة في الحديث ويشار إليه بالبنان في روايته للبخاري وشرحه فتح الباري، ولم يكن لي حظ من الدراسة عليه إلا قليلا لأنه عين في الفصل الذي يعلونا بدرجة.

وكان الأديب الألمعي الشيخ محمد المجذوب صاحب التآليف والمقالات أستاذنا في الأدب والتاريخ، وكانت لغته كبحر زاخر تعج بالدرر واللآلي، فأفاد في أسلوبه السلس وكتابته الرشيقة كأنه هو والسيد علي الطنطاوي ينبعان من عين واحدة، أدركت أولهما في الفصل وثانيهما في ثنايا الكتب ومن خلال إذاعة القرآن الكريم.

وأعجبني النحوي البارع الأستاذ عبد الرؤوف اللبدي المصري الذي تولى درس الألفية فحببها إلينا وهو يحل معضلاته ويشرح أبياته بأسلوب فذ وعناية تامة، وكان يكتب في مجلة الجامعة بعنوان "رسائل لم تحملها البريد" فكانت مقالاته رائعة تستهوي القراء وتحوز على إعجابهم.

وكان لي حظ من دروس الشيخ الشاب نور الدين العتر من الشام والداعي المفضال الشيخ محمد إبراهيم شقرة من الأردن، والفقيه الفاضل الدكتور عمر الأشقر، والشاب المحدث الدكتور محمد الطحان.

هؤلاء ممن درست عليهم في الفصول وهناك من استفدت منهم إما في رحاب المسجد النبوي مثل الشيخ عمر فلاته والشيخ محمد جابر الجزائري والشيخ محمد مختار الشنقيطي والشيخ حماد الأنصاري والدكتور تقي الدين الهلالي، أو بطريق الصحبة في الرحلات والأسفار كالشيخ محمد البناء المصري الذي شجعني وغيري من الطلبة على إلقاء

الكلمات على الحجاج في مساجد مكة والمدينة، والشيخ محمد أمان الجامي والشيخ سعدندا وغيرهم ممن لا أستحضر أسماءهم في الوقت الحاضر.

وأتاحت لنا مواسم الحج والعمرة فرصة اللقاء مع عدد من رموز العلم والأدب من العالم الإسلامي، كالدكتور مصطفى السباعي، الذي رأيته في دار الحديث وهو مستلق على الفراش لأجل مرض عضال لحقه في رجله، والشيخ محمد أبو زهرة، والشيخ مناع القطان، والشيخ محمد محمود الصواف الذي كان لي شرف ترجمة كلامه باللغة الأردية فيما بعد في حياتي العملية في شرق أفريقيا، والشيخ محمد قطب، والدكتور محمد الراوي، والشيخ عبدالله القلقيلي مفتي الأردن، وكثير غيرهم، ولا أستحضر أسماءهم، ولكنهم في بالي دائما، فأترحم على من لحق منهم بالرفيق الأعلى، وأدعو لمن بقي منهم على قيد الحياة.

ولست في هذا المقال لسرد ذكريات عن هذه السنوات الأربع التي قضيتها في رحاب الجامعة الإسلامية، وإنما أذكر وقفات في رحلتي مع اللغة العربية وآدابها.

لم أكن ليصرفني المنهج الدراسي عن متابعة الأدباء والكتاب الذين كانت لهم قصبة السبق في هذا المجال، فاستهواني "الوعد الحق" و "على هامش السيرة" لطه حسين، و "وحي القلم" للرافعي، و "الوحي المحمدي" لرشيد رضا، ومزيد من كتب المنفلوطي، ومحب الدين الخطيب، كما كنت أتابع مجلات من أمثال "حضارة الإسلام" ومجلة "المنهل" ومجلة "العربي" التي بدأت تصدر من الكويت أيام طلبي للعلم، واقتنيت كتاب "المستطرف في كل فن مستظرف" و "العقد الفريد" وإن لم تكن كتبا منهجية، غير أنه بقي بيني وبين "الأغاني" حاجز، فلم أفتحه إلا سردا، ولم أزره إلا غبا.

لم تمهل لي الدراسة لكتابة المقالات لتنشر في المجلات والجرائد غير أنني لم أتمالك نفسي عندما قرأت مقالا مفجعا عن أهل كشمير ومعاناتهم في جريدة أردية فأمسكت بالقلم، وترجمته إلى اللغة العربية وأرسلته إلى جريدة "شهاب" الصادرة من لبنان بعنوان (سُرُج من دماء) وكم كان فرحي عندما رأيته منشورا في عدد من أعدادها.

تخرجت في صيف عام ١٩٦٦م، ودخلت الحياة عمليا عندما قبلتني دار الإفتاء السعودية برئاسة الشيخ محمد إبراهيم آل الشيخ في أول بعثة علمية إلى شرق أفريقيا لتعليم الناشئة ونشر كلمة الإسلام في ربوعها، والحديث عن هذه الفترة المقبلة في حياتي له إن شاء الله موعد آخر.

فإلى اللقاء، والسلام.

***

آداب إسلامية

آداب الحج

(٤-٤)　　الشيخ لطف الحق المرشدآبادي
المدرس بجامعة شمس الهدى السلفية، دلال فور، جاركند

٩٥- إن أفعال يوم النحر أربعة: رمي جمرة العقبة، ثم الذبح، ثم الحلق، ثم طواف الإفاضة، وإن السنة ترتيبها هكذا، فلو خالف وقدّم بعضها على بعض جاز، ولا فدية عليه لحديث عبد الله بن عمرو عبد الله بن عمرو بن العاص قال: "وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بمنى للناس يسألونه، فجاء رجل فقال يا رسول الله! لم أشعر فحلقت قبل أن أنحر فقال: اذبح ولا حرج، ثم جاءه رجل آخر فقال يا رسول الله! لم أشعر فنحرت قبل أن أرمي فقال: ارم ولا حرج قال: فما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء قدم ولا أخر إلا قال: افعل ولا حرج". [1]

٩٦- إن طواف الإفاضة ركن من أركان الحج، لا يصح الحج إلا به، وإنه يستحب فعله يوم النحر أول النهار لحديث ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم أفاض يوم النحر، ثم رجع، فصلى الظهر بمنى. [2] الحديث.

٩٧- يجب المبيت بمنى ليالي أيام التشريق، ففي حديث ابن عمر أن العباس بن عبد المطلب استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيت بمكة ليالي منى من أجل سقايته، فأذن له. [3]

٩٨- استحباب سوق الهدي، وجواز النيابة في نحره، والقيام عليه وتفرقته، وإنه يتصدق بلحومها وجلودها وجلالها، وإنها تجلل، وأن لا يعطي الجزار منها، لأن عطيته عوض عن عمله، فيكون في معنى بيع جزء منها وذلك لا يجوز. فعن علي قال: "أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أقوم على بدنه، وأن أتصدق بلحمها، وجلودها وأجلتها، وأن لا أعطي الجزار منها. [4]

---

[1] رواه مسلم، كتاب الحج، باب جواز تقديم الذبح على الرمي والحلق على الذبح الخ.

[2] رواه مسلم، كتاب الحج، باب استحباب طواف الإفاضة يوم النحر.

[3] رواه مسلم، كتاب الحج، باب وجوب المبيت بمنى ليالي أيام التشريق.

[4] رواه مسلم، كتاب الحج، باب الصدقة بلحوم الهدايا وجلودها وجلالها.. الخ.

قال النووي: وفيه جواز الاستيجار على النحر ونحوه، ومذهبنا أنه لا يجوز بيع جلد الهدي ولا الأضحية ولا شيء من أجزائهما لأنها ينتفع بها في البيت، ولا بغيره سواء كانا تطوعا أو واجبتين، لكن إن كانا تطوعا فله الانتفاع بالجلد وغيره باللبس وغيره، ولا يجوز إعطاء الجزار منها شيئا بسبب جزارته، هذا مذهبنا، وبه قال عطاء والنخعي ومالك وأحمد وإسحاق، وحكى ابن المنذر عن ابن عمر وأحمد وإسحاق أنه لا بأس ببيع جلد هديه، ويتصدق بثمنه قال ورخص في بيعه أبو ثور، وقال النخعي والأوزاعي، لا بأس أن يشتري به الغربال والمنخل والفأس والميزان ونحوها، وقال الحسن البصري: يجوز أن يعطي الجزار جلدها، وهذا منابذ للسنة والله أعلم. [١]

٩٩- وجوب الهدي على المتمتع، وجواز الاشتراك في البدنة الواجبة، لأن دم التمتع واجب لحديث جابر بن عبد الله يحدث عن حجة النبي صلى الله عليه وسلم قال: فأمرنا إذا أحللنا أن نهدي، ويجتمع النفر منا في الهدية وذلك حين أمرهم أن يحلوا من حجهم. [٢]

قال النووي: وفيه دليل لجواز ذبح هدي التمتع بعد التحلل من العمرة، وقبل الإحرام بالحج. [٣]

١٠٠- يستحب نحر الإبل وهي قائمة معقولة اليد اليسرى لحديث زياد بن جبير أن ابن عمر أتى على رجل وهو ينحر بدنته باركة فقال: ابعثها قائمة مقيدة سنة نبيكم صلى الله عليه وسلم. [٤]

قال النووي: فيستحب نحر الإبل وهي قائمة معقولة اليد اليسرى، صح في سنن أبي داود عن جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا ينحرون البدنة معقولة اليسرى قائمة على ما بقي من قوائمها، إسناده على شرط مسلم، أما البقر والغنم فيستحب أن تذبح مضجعة على جنبها الأيسر، وتترك رجلها اليمنى وتشد قوائمها الثلاث. [٥]

١٠١- إذا عطب الهدي وجب ذبحه وتخليته للمساكين، ويحرم الأكل منها عليه وعلى رفقته الذين معه في الركب سواء كان الرفيق مخالطا له، أو في جملة الناس من غير مخالطة

---

[١] شرح صحيح مسلم ١/ ٤٢٣.

[٢] رواه مسلم، كتاب الحج، باب جواز الاشتراك في الهدي الخ.

[٣] شرح صحيح مسلم ١/ ٤٢٤.

[٤] رواه مسلم، كتاب الحج، باب استحباب نحر الإبل قياما معقولة.

[٥] شرح صحيح مسلم ١/ ٤٢٤.

لحديث ابن عباس أن ذويبا أبا قبيصة حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يبعث معه بالبدن ثم يقول: "إن عطب منها شيء فخشيت عليه موتا فانحرها، ثم اغمس نعلها في دمها، ثم اضرب به صفحتها ولا تطعمها أنت ولا أحد من أهل رفقتك". [١]

قال النووي: واختلف العلماء في الأكل من الهدي إذا عطب فنحره، فقال الشافعي: إن كان هدي تطوع كان له أن يفعل فيه ما شاء من بيع وذبح وأكل وإطعام وغير ذلك، ولو تركه ولا شيء عليه في كل ذلك لأنه ملكه، وإن كان هديا منذورا لزمه ذبحه، فإن تركه حتى هلك لزمه ضمانه كما لو فرط في حفظ الوديعة حتى تلفت فإذا ذبحه غمس نعله التي قلده إياها في دمه وضرب بها صفحة سنامه وتركه موضعه ليعلم من مر به أنه هدي فيأكله، ولا يجوز للمهدي ولا لسائق هذا الهدي وقائده الأكل منه، ولا يجوز للأغنياء الأكل منه مطلقا، لأن الهدي مستحق للمساكين، فلا يجوز لغيرهم، ويجوز للفقراء من غير أهل هذه الرفقة، ولا يجوز للفقراء الرفقة. [٢]

١٠٢- يجب على الحاج طواف الوداع، وأنه إذا تركه لزمه دم لحديث ابن عباس قال: كان الناس ينصرفون في كل وجه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا ينفرن أحد حتى يكون آخر عهده بالبيت. [٣]

١٠٣- يسقط طواف الوداع عن الحائض، فعن ابن عباس قال: أمر الناس أن يكون آخر عهدهم بالبيت إلا أنه خفف عن المرأة الحائض. [٤]

قال النووي: هذا دليل لوجوب طواف الوداع على غير الحائض وسقوطه عنها، ولا يلزمها دم بتركه، هذا مذهب الشافعي ومالك وأبي حنيفة وأحمد والعلماء كافة إلا ما حكاه ابن المنذر عن عمر وابن عمر وزيد بن ثابت، إنهم أمروها بالمقام لطواف الوداع، دليل الجمهور هذا الحديث وحديث صفية المذكور بعده. [٥]

١٠٤- يجوز النيابة في الحج عن العاجز المايوس منه بهرم، أو زمانة، أو موت، ففي حديث عبد الله بن عباس أنه قال: كان الفضل ابن عباس رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم،

---

[١] رواه مسلم، كتاب الحج، باب ما يفعل بالهدي إذا عطب في الطريق.

[٢] شرح صحيح مسلم ٤٣٦/١.

[٣] رواه مسلم، كتاب الحج، باب وجوب طواف الوداع وسقوطه عن الحائض.

[٤] رواه مسلم، كتاب الحج، باب وجوب طواف الوداع وسقوطه عن الحائض.

[٥] شرح صحيح مسلم ٤٣٧/١.

فجاءته امرأة من خثعم تستفيه، فجعل الفضل ينظر إليها، وتنظر إليه، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر، قالت يا رسول الله! إن فريضة الله على عباده في الحج أدركت أبي شيخا كبيرا، لا يستطيع أن يثبت على الراحلة، أفأحج عنه؟ قال: نعم، وذلك في حجة الوداع. [١]

قال النووي: هذا الحديث فيه فوائد، منها: جواز إرداف على الدابة إذا كانت مطيقة، وجواز سماع صوت الأجنبية عند الحاجة في الاستفتاء والمعاملة وغير ذلك، ومنها: تحريم النظر إلى الأجنبية، ومنها: إزالة المنكر باليد لمن أمكنه، ومنها: جواز النيابة في الحج عن العاجز المايوس منه بهرم، أو زمانة، أو موت، ومنها: جواز حج المرأة عن الرجل، ومنها: بر الوالدين بالقيام بمصالحهما من قضاء دين، وخدمة، ونفقة، وحج عنهما وغير ذلك، ومنها: وجوب الحج على من هو عاجز بنفسه مستطيع بغيره كولده، وهذا مذهبنا لأنها قالت: أدركته فريضة الحج شيخا كبيرا، لا يستطيع أن يثبت على الراحلة، ومنها: جواز حج المرأة بلا محرم إذا أمنت على نفسها، وهو مذهبنا، ومذهب الجمهور جواز الحج عن العاجز بموت، أو عضب وهو الزمانة والهرم ونحوهما، وقال مالك والليث والحسن بن صالح: لا يحج أحد من أحد إلا عن ميت لم يحج حجة الإسلام، قال القاضي: وحكى عن النخعي وبعض: لا يصح الحج عن ميت ولا غيره، وهي رواية عن مالك وإن أوصى به، وقال الشافعي والجمهور: يجوز الحج عن الميت عن فرضه ونذره سواء أوصى به أم لا ويجزي عنه، ومذهب الشافعي وغيره إن ذلك واجب في تركته، وعندنا يجوز للعاجز الاستنابة في حج التطوع على أصح القولين، واتفق العلماء على جواز حج المرأة عن الرجل إلا الحسن بن صالح فمنعه، وكذا يمنعه من منع أصل الاستنابة مطلقا، والله أعلم. [٢]

١٠٥- يصح حج الصبي، ولمن حج به فله أجر، لحديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم لقي ركبا بالروحاء، فقال من القوم قالوا: المسلمون، فقالوا: من أنت؟ قال: قال: رسول الله فرفعت إليه امرأة صبيا، فقالت: ألهذا حج؟ قال: نعم، ولكِ أجر. [٣]

١٠٦- إن الحج لا يجب في العمر إلا مرة واحدة بأصل الشرع لحديث أبي هريرة قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أيها الناس قد فرض عليكم الحج، فحجوا، فقال

---

[١] رواه مسلم، كتاب الحج، باب الحج عن العاجز لزمانة وهرم ونحوهما الخ.

[٢] شرح صحيح مسلم: ٤٣١/١.

[٣] رواه مسلم، كتاب الحج، باب صحة حج الصبي وأجر من حج به.

رجل: أكل عام يا رسول الله، فسكت، حتى قالها ثلاثا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لو قلت نعم لوجبت، ولما استطعتم.. [١] الحديث.

١٠٧- لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر تسافر مسيرة ثلاث ليال إلا ومعها ذو محرم، لحديث عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر تسافر مسيرة ثلاث ليال إلا ومعها ذو محرم". [٢]

قال النووي: فيه دلالة لمذهب الشافعي والجمهور أن جميع المحارم سواء في ذلك، فيجوز لها المسافرة مع محرمها بالنسب كابنها وأخيها وابن أختها وخالها وعمها، ومع محرمها بالرضاع كأخيها من الرضاع وابن أخيها وابن أختها منه ونحوهم، ومع محرمها من المصاهرة كأبي زوجها وابن زوجها، ولا كراهة في شيء من ذلك، وكذا يجوز لكل هؤلاء الخلوة بها، والنظر إليها من غير حاجة، ولا يحل النظر بشهوة لأحد منهم، هذا مذهب الشافعي والجمهور، ووافق مالك على ذلك كله إلا ابن زوجها، فكره سفرها معه لفساد الناس بعد العصر الأول. [٣]

١٠٨- النزول بالبطحاء بذي الحليفة في رجوع الحاج ليس من مناسك الحج، وإنما فعله من فعله من أهل المدينة تبركا بآثار النبي صلى الله عليه وسلم، ولأنها بطحاء مباركة. [٤]

١٠٩- يستحب للحاج والمعتمر أن يقول الدعاء التالي إذا رجع من سفر الحج:

"لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، آئبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون، صدق الله وعده، ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده".

فعن عبد الله بن عمر قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قفل من الجيوش أو السرايا، أو الحج أو العمرة إذا أوفى على ثنية أو فدفد كبر ثلاثا ثم قال: لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، آئبون تائبون عابدون ساجدون، لربنا حامدون، صدق الله وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده. [٥]

***

[١] رواه مسلم، كتاب الحج، باب فرض الحج مرة في العمر.
[٢] رواه مسلم، كتاب الحج، باب سفر المرأة مع محرم إلى حج وغيره.
[٣] شرح صحيح مسلم: ٤٣٣/١.
[٤] شرح صحيح مسلم: ٤٣٥/١.
[٥] رواه مسلم، كتاب الحج، باب ما يقول إذا رجع من سفر الحج وغيره.

آداب إسلامية

نزع الحياء بنزع الإيمان

الحمد لله ذي الفضل والإحسان، جعل الحياء شعبة من شعب الإيمان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. {يسأله من في السماوات والأرض كل يوم هو في شأن} (الرحمن: ٢٩). وبعد:

إن الحياء خصلة حميدة، تكف صاحبها عما لا يليق. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الحياء لا يأتي إلا بخير" وأخبر أنه شعبة من شعب الإيمان. فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – أنه قال: "الإيمان بضع وسبعون شعبة أو بضع وستون شعبة. فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان".

وقد مر النبي صلى الله عليه وسلم برجل وهو يعظ أخاه في الحياء أي يلومه عليه فقال: "دعه، فإن الحياء من الإيمان". دلت هذه الأحاديث على أن الحياء خلق فاضل. قال الإمام ابن القيم – رحمه الله -: والحياء من الحياة ومنه يقال: الحيا للمطر، على حسب حياة القلب يكون فيه قوة خلق الحياء – وقلة الحياء من موت القلب والروح، فكلما كان القلب أحيى كان الحياء أتم – فحقيقة الحياء أنه خلق يبعث على ترك القبائح، ويمنع من التفريط في حق صاحب الحق، والحياء يكون بين العبد وبين ربه – عز وجل -. فيستحي العبد من ربه أن يراه على معصيته ومخالفته، ويكون بين العبد وبين الناس. فالحياء الذي بين العبد وربه قد بينه صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي جاء في سنن الترمذي مرفوعا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "استحيوا من الله حق الحياء". قالوا: إنا نستحيي يا رسول الله، قال: "ليس ذلكم، ولكن من استحيا من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما وعى، وليحفظ البطن وما حوى، وليذكر الموت والبلى. ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء" فقد بين صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث علامات الحياء من الله عز وجل أنها تكون بحفظ الجوارح عن معاصي الله، وبتذكر الموت، وتقصير الأمل في الدنيا، وعدم الانشغال عن الآخرة بملاذ الشهوات والانسياق وراء الدنيا. وقد جاء في الحديث الآخر أن "من استحيا من الله استحيا الله تعالى منه".

وحياء الرب من عبده حياء كرم وبر وجود وجلال، فإنه – تبارك وتعالى – حيي كريم يستحيي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفرا ويستحيي أن يعذب ذا شيبة شابت في الإسلام.

وأما الحياء الذي بين العبد وبين الناس فهو الذي يكف العبد عن فعل ما لا يليق به، فيكره أن يطلع الناس منه على عيب ومذمة، فيكفه الحياء عن ارتكاب القبائح ودناءة الأخلاق. فالذي يستحيي من الله يجتنب ما نهاه عنه في كل حالاته، في حال حضوره مع الناس وفي حال غيبته عنهم.

وهذا حياء العبودية والخوف والخشية من الله –عز وجل- . وهو الحياء المكتسب من معرفة الله، ومعرفة عظمته، وقربه من عباده، واطلاعه عليهم، وعلمه بخائنة الأعين وما تخفي الصدور. وهذا الحياء من أعلى خصال الإيمان، بل هو من أعلى درجات الإحسان. كما في الحديث: "الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك" والذي يستحيي من الناس لابد أن يكون مبتعدا عما يذم من قبيح الخصال وسيء الأعمال والأفعال، فلا يكون سبابا، ولا نماما أو مغتابا، ولا يكون فاحشا ولا متفحشا، ولا يجاهر بمعصية، ولا يتظاهر بقبيح. فحياؤه من الله يمنعه من فساد الباطن، وحياؤه من الناس يمنعه من ارتكاب القبيح والأخلاق الدنيئة، وصار كأنه لا إيمان له. كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستحي فاصنع ما شئت". (رواه البخاري)

ومعناه إن لم يستحي صنع ما شاء من القبائح والنقائص، فإن المانع له من ذلك هو الحياء وهو غير موجود، ومن لم يكن له حياء انهمك في كل فحشاء ومنكر. عن سلمان الفارسي –رضي الله عنه– قال: "إن الله إذا أراد بعبده هلاكا نزع منه الحياء، فإذا نزع منه الحياء لم تلقه إلا مقيتا ممقتا. فإذا كان مقيتا ممقتا نزع منه الأمانة، فلم تلقه إلا خائنا مخونا. فإذا كان خائنا مخونا نزع منه الرحمة، فلم تلقه إلا فظا غليظا. فإذا كان فظا غليظا نزع ربقة الإيمان من عنقه، فإذا نزع ربقة الإيمان من عنقه، لم تلقه إلا شيطانا لعينا ملعنا". وعن ابن عباس قال: "الحياء والإيمان في قرن، فإذا نزع الحياء تبعه الآخر". وقد دل الحديث وهذان الأثران على أن من فقد الحياء لم يبق ما يمنعه من فعل القبائح، فلا يتورع عن الحرام. ولا يخاف من الآثام، ولا يكف لسانه عن قبيح الكلام. ولهذا لما قل الحياء في هذا الزمان أو انعدم عند بعض الناس كثرت المنكرات، وظهرت العورات، وجاهروا بالفضائح، واستحسنوا القبائح. وقلت الغيرة على المحارم أو انعدمت عند كثير من الناس، بل صارت القبائح والرذائل عند بعض الناس فضائل، وافتخروا بها، فمنهم: المطرب والملحن والمغني الماجن، ومنهم اللاعب التاعب الذي أنهك جسمه وضيع وقته في أنواع اللعب، وأقل حياء وأشد تفاهة من هؤلاء المغنين واللاعبين من يستمع لغوهم، أو ينظر ألعابهم، ويضيع كثيرا من أوقاته في ذلك.

ومن قلة الحياء وضعف الغيرة في قلوب بعض الرجال:

استقدامهم النساء الأجنبيات السافرات أو الكافرات وخلطهم لهن مع عوائلهم داخل بيوتهم وجعلهن يزاولن الأعمال بين الرجال، وربما يستقبلن الزائرين، ويقمن بصب القهوة للرجال. أو استقدامهم للرجال الأجانب سائقين وخدامين، يطلعون على محارمهم ويخلون مع نسائهم في البيوت وفي السيارات في الذهاب بهن إلى المدارس والأسواق، فأين الغيرة وأين الحياء وأين الشهامة والرجولة؟!

ومن ذهاب الحياء في النساء اليوم:

ما ظهر في الكثير منهن من عدم التستر والحجاب، والخروج إلى الأسواق متطيبات متجملات لابسات لأنواع الحلي والزينة، لا يبالين بنظر الرجال إليهن، بل ربما يفتخرون بذلك، ومنهن من تغطي وجهها في الشارع وإذا دخلت المعرض كشفت عن وجهها وذراعيها عند صاحب المعرض ومازحته بالكلام وخضعت له بالقول، لتطمع الذي في قلبه مرض.

ومن ذهاب الحياء من بعض الرجال أو النساء:

شغفهم باستماع الأغاني والمزامير من الإذاعات ومن أشرطة التسجيل.

أين الحياء ممن يشتري الأفلام الخليعة، ويعرضها في بيته أمام نسائه وأولاده بما فيها من مناظر الفجور وقتل الأخلاق، وإثارة الشهوة، والدعوة إلى الفحشاء والمنكر؟!

أين الحياء ممن ضيعوا أولادهم في الشوارع، يخالطون من شاؤوا ويصاحبون من هب ودب من ذوي الأخلاق السيئة، أو يضايقون الناس في طرقاتهم ويقفون بسياراتهم في وسط الشارع، حتى يمنعوا المارة، أو يهددون حياتهم بالعبث بالسيارات وبما يسمونه بالتفحيط؟!

أين الحياء من المدخن الذي ينفث الدخان الخبيث من فمه في وجوه جلسائه ومن حوله، فيخنق أنفاسهم ويقزز نفوسهم ويملأ مشامهم من نتنه ورائحته الكريهة؟!

أين الحياء من التاجر الذي يخدع الزبائن، ويغش السلع، ويكذب على الناس؟ إن الذي حمل هؤلاء على النزول إلى هذه المستويات الهابطة هو ذهاب الحياء كما قال صلى الله عليه وسلم: "إذا لم تستحي فاصنع ما شئت".

فاتقوا الله عباد الله، وراقبوا الله في تصرفاتكم، قال تعالى: {إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير، وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور، ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير} (الملك: ١٤)

(إعداد: دار القاسم — الرياض)

***

الدعوة والإرشاد

لماذا لا نحافظ على مكتسباتنا الدعوية؟!

وائل رمضان

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «اللهمَّ إنِّي أشكو إليك جَلَدَ الفاجر وعجْزَ الثِّقة»، عندما تأملت هذه العبارة ونظرت إلى الواقع الذي يعيشه بعضٌ من طوائف المسلمين ولاسيما العاملين في الدعوة إلى الله عز وجل، وجدت أنها تعبر تعبيرًا صادقًا عن حال هؤلاء، ففي الوقت الذي أحجم فيه هؤلاء الثقات وتقوقعوا، صال الفجار وجالوا، وفي الوقت الذي صمتوا فيه وخفتت أصواتهم، صاح الأدعياء وعلت أصواتهم.

الفجرة يتربصون بالثقات الدوائر ليل نهار ولا يفترون عنهم طرفة عين، يُحْصون عليهم حركاتهم وسكناتهم، والثقات غافلون غير آبهين.

الفجرة صابرون على تحقيق أهدافهم والوصول إلى غاياتهم، والثقات يسأمون ويملون ويضجرون.

الفَجَرة يؤسسون الجمعيات والنوادي والمراكز والمعاهد والجرائد والمجلات والقنوات والمؤتمرات، ويحتلون التخصصات، ويُصَدِّرون ثقافتهم بكل ما أوتوا من قوة وإمكانيات، والثقات متفرجون مستترون ضاجعون.

الفجرة يحافظون على مكتسباتهم ومؤسساتهم ورجالاتهم ويدافعون عنهم، والثقات خائفون خانعون كأنَّما ضُربت عليهم الذلَّة والمسكنة.

هذا مع الأسف الشديد حال أهل الحق في كثير من المواقع والأماكن، وكثير من العاملين يدركون هذه الحقيقة تمامًا، ولكن بعضهم ومع الأسف الشديد يستسلم لليأس والعجز الذي حذر منه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

ولا شك أن هذه الظاهرة - ظاهرة عجز الثقات - لها أشكال عدة من أهمها:

- الفشل في إدارة وإتمام المشاريع الضخمة التي تنفع الأمة.
- سرعة الملل والضجر في مواجهة أهل الباطل والتزام السلامة في ذلك.
- غياب روح المبادرة في مواجهة الباطل والتزام جانب الدفاع في أغلب الأحيان.
- التساهل في التفريط في مكتسبات الدعوة من مؤسسات وأفراد وعدم الصبر على تخطي العقبات والصعاب.

وستتناول في هذا المقال ظاهرتين فقط من هذه الظواهر من وجهة نظري، هما أهم ظاهرتين يشكو منهما العاملون في الدعوة إلى الله عز وجل. ألا وهما الفشل في إدارة وإتمام المشاريع الضخمة التي تنفع الأمة، وعدم القدرة على الحفاظ على مكتسبات الدعوة، وكلتاهما مرتبطة ارتباطا وثيقا بالأخرى، وقد ذكر الشيخ محمد صالح المنجد في كتابه: (مشروعک الذي يلائمک) عددا من الأسباب التي تؤدي إلى الفشل في إدارة وإتمام المشاريع من أهمها على سبيل المثال:

• الفوضويّةُ وعدم التّخطيط:

والمرادُ بالفوضويّة اختلاطُ الأمور وعدم وضوح الأهداف، فالفوضويّون ضائعو الأهداف، مهملو الأعمال، ارتجاليون، لا تخطيط لهم، يبدأون في العمل ثم يتركونه لأول عقبة تقابلهم.

وعاجز الرأي مضياع لفرصته حتى إذا فات أمر عاتب القدرا

• ضعف الاستشارة:

ممّا يؤدِّي إلى نوع من الاستقلاليّة في الرأي تؤدِّي إلى جنوح وشَطَحات فكريّة ويكون الشّخصَ هو الحكم والخصم في المشروع.

• اليأس والاستسلام:

فأخطر ما يهدِّد نجاح المشاريع وإتمامها سرعة اليأس والاستسلام للعقبات، لأن اليأس يساوي الانتحار، والمؤمن الحقيقي لا ييأس من رحمة الله تعالى، ولا ينكسر أمام تجارب الفشل، بل يأخذ منها عُدّة وذخيرة لمواصلة المسير نحو أهدافه بخبرة أعمق وبصيرة أعظم، فالجندي الحقّ لا يغير عقيدته وإنما يغير موقعه، ولا يتنازل أبدًا عن مكتسباته.

• التّشَتُّت:

إنّ من أسباب الفشل في نجاح المشاريع العمليّة وضياع قيمتها وأثرها في حياة الناس، تشتُّتُ أصحابها في مشاريع عديدة ربّما كان الواحدُ منها يحتاج إلى أن يتكاتف الكثيرون في جهودهم من أجل إنجازه؛ ولذلک فمن العوائق التي قد تمنع إتمامَ المشروعات البدء في أكثر من مشروع كبير في نفس الوقت.

ومشتّت العزمات يقضي عمرَه حيران لا ظفرٌ ولا إخفاق

ولا شک أن لهذه المشكلات آثارا عدة سواء على المنتمين للدعوة أم على أهل الباطل الذين يتربصون بالمؤمنين الدوائر، ومن أهم تلک الآثار:

• إصابة كثير من الشباب والمنتمين إلى الدعوة بالإحباط واليأس.
• افتقاد الحافز والدافع للبدء بمشاريع جديدة خوفًا من الفشل السابق.

• اغتباط أهل الباطل وسرورهم برؤية أهل الحق يفشلون.
• فقدان الثقة في قيادات الدعوة والقائمين عليها.
• ضياع فرص كبيرة على الدعوة كان يمكن أن يتحقق من ورائها نفع عظيم للمسلمين.

ولا شك أن هذه الآثار مدمرة على المدى البعيد؛ من هنا كان لابد من دراسة متأنية لهذه المسألة وطرحها على بساط البحث والحوار بين القائمين على العمل الدعوي ووضع الخطط والبرامج المناسبة للتعامل معها حتى لا تستفحل وتتحول إلى ظاهرة عامة.

وقد حدد المختصون محاور عدة يعتمد عليها في نجاح المشاريع عمومًا ولا شك أن المشاريع الدعوية أولى بذلك، وهي:

(١) دراسة الحاجة.
(٢) المنتج الدعوي.
(٣) التسويق والدعاية الدعوية.
(٤) تقويم الحصيلة الدعوية (الربح).

(١) دراسة الحاجة: تعد دراسة الحاجة من المقدمات الضرورية التي ينبني عليها انتخاب المشاريع في الفكر الاقتصادي المعاصر، وفي غيابها يفقد المشروع حظوظه في النجاح، ومن ثم الموافقة على مشروع معين في غياب درجة معقولة من القابلية للاستهلاك لدى المستهدفين ضرب من العبث في الاقتصاد المعاصر، والعمل الدعوي من حيث الشكل يحاكي النموذج الاقتصادي في نقاط كثيرة، الأمر الذي يجعل الاستفادة من الثقافة الاقتصادية أمرا محبذا إن لم يكن ضروريا.

ولا شك أن المشاريع الدعوية تعتريها اختلالات كثيرة من هذه الناحية، فالارتكاز على الحاجات الواقعية للمجتمع في صياغة أهداف ورهانات المشروع الدعوي أحد المداخل الرئيسية في هذا المجال، وأيضا مقدمة لتغيير أساليب التخطيط للمشروع الدعوي وتقنياته من ناحية أخرى.

(٢) المنتج الدعوي: هو فكرة مجسدة في فعل أو موقف أو شيء، ومرفقة بدليل للتنفيذ والاستعمال، في صيغة برنامج محدد وكيفية معينة، وتهدف في نهاية المطاف لتلبية حاجة من الحاجات الأخلاقية للمجتمع، وباعتبارها كذلك لابد فيها من قدر وافر من الإبداع.

ومن الأمور التي لابد من مراعاتها في المنتوج الدعوي التناسب بين المنتوج والمقصود الدعوي منه؛ إذ العلاقة بين الطرفين ليست دائما حتمية وضرورية؛ ولهذا لابد من تحليل العلاقة بينهما والتحقق مما إذا كان المنتوج يؤدي إلى المقصود منه وبفعالية عالية، (المطوية) على سبيل المثال، قد تكون فعالة على مستوى الإعلام، ولكن أثرها الدعوي من حيث إقناع المستفيدين

بتبني سلوك معين أو الإقلاع عنه، يبدو واستنادا إلى التجربة ضعيفا ومحدودا؛ وكذلك من الأمور التي لابد من مراعاتها في هذا الباب أيضا التنوع والإبداع، فالدعوة كلما تعددت مداخلها، وخرجت عن المألوف وسائلها، كان أثرها قويا وملموساً.

(٣) التسويق والدعاية الدعوية: من أهم عوامل نجاح المشاريع عموماً بما في ذلك المشاريع الدعوية، الدعاية وتقنيات التسويق والترويج، والملاحظ أن استفادة الدعوة من هذه التقنيات والأساليب ما زال ضعيفا ومحدوداً، ففي بعض الأحيان تستطيع الدعاية وحدها أن تغطي على عيوب ونواقص عناصر المشروع الأخرى، سواء فيما يتعلق بدراسة الحاجة، أم في قيمة المنتج، فالإشهار اليوم آلة حرب أيديولوجية فتاكة، ففي فرنسا وحدها يتعرض الفرد يومياً إلى أكثر من ٢٥٠٠ عملية قصف إشهاري أو إعلامي في الشارع، وفي وسائل النقل، وفي وسائل الاتصال.

وإحساسا من الأزهر الشريف بأهمية الدعاية والتسويق في العمل الدعوي نظم ندوة حول إصلاح الدعوة والوعظ من خلال تدريس (التسويق).

فالانفتاح على هذه المجالات الجديدة وتأهيل الكوادر الدعوية في تقنياتها وعلومها، سيعود بالتأكيد على المشروع الدعوي بفوائد كثيرة.

لكن ما زالت خبرة الدعوة الإسلامية بتقنيات التسويق والدعاية ضعيفة، مما كان عائقًا في نجاح عدد من المشاريع أو في أحسن الأحوال لم يساعدها على بلوغ المقصود منها بنسب معقولة، فتوظيف هذه التقنيات في العمل الدعوي أصبح ضروريا وجزءاً من أي حل ممكن للأزمة الدعوية في مجتمع الإعلام والاتصال.

(٤) تقويم الحصيلة الدعوية: إن هذا العنصر لا يقل أهمية عن العناصر السالفة إن لم يكن أهمها على الإطلاق، ففي غياب التقويم يصبح المشروع الدعوي ومن ورائه المشروع الإسلامي نشاطًا ترفيهيًا وثانويًا، فاقدا معانيه الاستراتيجية، ومكانته الأخلاقية؛ فلن يكون بوسع القائمين على المشاريع الدعوية التحقق مما إذا كانوا قد حققوا أهدافهم أم لا، وبأية نسبة، في غياب تقويم علمي لنتائج المشروع وآثاره الواقعة، ففي حالات كثيرة يجتهد الدعاة في ضبط وإتقان كل شيء من الدراسة والتخطيط للفعل الدعوي، وانتهاء بالإنجاز والترويج، ويغفلون عن التقويم؛ مما يسهل عليهم فيما بعد التفريط بالمشروع لعدم إحساسهم بقيمته وحاجة المسلمين إليه والاستسلام سريعًا للعقبات والضغوط وعدم البحث عن حلول بديلة فيدب الفشل سريعًا إلى المشروع وتفقد الدعوة مكتسباتها، وبدلاً من أن تتقدم إلى الأمام خطوة تتراجع إلى الوراء خطوات كما حدث مع جريدة الرؤية – رحمها الله – ونخشى أن يحدث مع غيرها من مؤسساتنا الإعلامية والله المستعان. (مع الشكر لمجلة الفرقان الكويتية)

***

التعليم والتربية

إعداد المعلم وتدريبه

د. عبدالرحمن بن إبراهيم الفوزان، الرياض

إن العالم قد يكون بحرا في علمه، ولكنه قد لا يكون معلما بدرجة توازي ما لديه من علم، فنقل العلم إلى المتعلم يحتاج إلى مهارة. فهل يستطيع العالم الذي لا يملك الأسلوب المناسب للتعليم تطوير نفسه في هذا المجال؟

إن المعلم يتعلم الكثير عن طريق الخبرة، ولكن ذلك قد لا يكون مفيدا، فقد يكرر المعلم سلوكا خاطئا، أو يهمل مسائل مهمة، كما أن بعضهم قد يعتمد طريقة المحاولة والخطأ.

وهناك ثلاثة أنواع من أساليب الارتقاء بالمعلم، وهي:

١– التأهيل:

ويسمى أحيانا الإعداد. ويعني ذلك ما نقوم به لتهيئة شخص ما لعملية التدريس من إعداد لغوي وعملي وتربوي قبل أن يخوض العملية التعليمية. وهذا هو ما تقوم به البرامج الأكاديمية غالبا، كما في كليات التربية وأقسامها وما شابهها.

٢– التدريب:

ويقصد به أحيانا ما يتم أثناء ممارسة المعلم لعمله، كما في التدريب أثناء الخدمة في صور شتى، مثل الدورات التدريبية وورش العمل.

٣-: التطوير:

ويشمل ذلك الوسائل والأساليب المختلفة، التي تساهم في تطوير شخصية المعلم وتنمية معلوماته وقدراته العلمية والمهنية، والنشرات التوجيهية ومشاهدة البرامج والنماذج الجيدة ذات العلاقة بمجال عمل المعلم. كما أن تطوير معلم اللغة يعني التحسين المستمر لمستواه اللغوي الشفوي والكتابي، وتنمية معلوماته عن اللغة التي يدرّسها وعن ثقافة أهلها.

أهم مجالات إعداد معلمي اللغة وتدريبهم مهنيا:

يحتل إعداد المعلم وتدريبه مكانة هامة وخاصة، ولاسيما معلمي اللغة العربية لغير الناطقين بها، لأن كثيرا منهم غير متخصصين بعلم اللغة التطبيقي، وغير مدربين في هذا

الميدان. وتأتي مسألة إعداد المعلم وتدريبه من أهمية المعلم نفسه ودوره في العملية التعليمية، حيث تشير الدراسات التربوية إلى أن دور المعلم – بشكل عام – يمثل ٦٠% من التأثير في تكوين الطالب، بينما تشترك بقية العناصر الأخرى في العملية التربوية بـ ٤٠% من التأثير. وإن إعداد معلم اللغة لابد أن يشتمل في حده الأدنى على عناصر أساسية:

١– الإعداد اللغوي:

أي إعداده في الجانب اللغوي في اللغة الهدف التي سيقوم بتعليمها، ويشتمل ذلك على الكفاية اللغوية المناسب في المهارات المختلفة، إضافة إلى المعلومات المناسبة عن اللغة وثقافتها وتاريخها، وبدون ذلك لن يكون معلما ناجحا، لأن فاقد الشيء لا يعطيه، كما يقول المثل العربي المعروف.

٢– الإعداد العلمي:

أي تزويد المتدرب بالمعارف اللسانية النظرية والتطبيقية العامة والخاصة باللغة الهدف. ويشمل ذلك: الدراسات الخاصة بأبنية اللغة النحوية والصرفية والصوتية، والدلالية وقضاياها البلاغية، وتحليل الخطاب، ونظريات اكتساب اللغة الأولى والثانية، وقضايا اللسانيات الاجتماعية.

٣– الإعداد التربوي:

ويشمل ذلك تزويد الدارس بما يحتاج إليه من معلومات تتعلق بطرق تعليم اللغة بوصفها لغة أجنبية، وأساليب تقويم أداء الدارسين، وتحليل أخطائهم، وتصويبها، وإعداد المعينات السمعية والبصرية المناسبة لتعليم اللغة، واستخدامها بطريقة فعالة. وكذلك إعداد المواد التعليمية، مثل تأليف الدروس والتدريبات المختلفة.

ونود أن نؤكد على أن يكون الإعداد في هذه المجالات بطريقة تخدم معلم اللغة بصورة مباشرة، فقد أثبتت التجربة أن تدريس المتدرب موادعامة، مثل طرق التدريس العامة أو أساليب التقويم التربوي أو الوسائل التعليمية، قد لا يفيد المتدرب كثيرا، لأن معظم المتدربين يتلقون هذه المعلومات بشكل نظري، ولا يحسنون الربط بينها وبين تعليم اللغة وتدريسها أثناء ممارستهم الفعلية للتدريس.

ونضيف هنا أيضا ضرورة تعليم المتدرب أصول التربية وأساليب إدارة الصف —خاصة —مثل تنظيم جلوس الطلاب والأنشطة الزوجية والجماعية وغير ذلك.

٤—التدريب الذاتي:

ونقصد بذلك تدريب المعلم على أساليب التطوير الذاتي، مثل:

أ—تعريفه بالمراجع والدوريات واللقاءات الدورية التي تعينه في تنمية خبراته ومعلوماته المهنية.

ب—تدريبه على أساليب التأمل ونقد الذات وتحليل تجارب الآخرين وتقويمها، للاستفادة من حسناتها وتجنب مساوئها وعيوبها.

ج—تدريب المعلم على إجراء التجارب الميدانية اليسيرة لتحسين مستوى أدائه، وإيجاد الحلول المناسبة لما يواجهه من مشكلات عملية. [١]

خطوات تدريب المعلم:

- تقسّم المادة والمحتوى إلى خطوات صغيرة، لتفادي الخلط.
- يعطى المتدرّب الفرصة للمناقشة، وللتطبيق في نهاية كل خطوة، لئلا تختلط عليه الخطوات.
- يقسّم للمتدرّب ما يمكن أن يكون صعبا ويعزّز، ليسهل عليه.
- يعطى التطبيق قدرا يستحقه، ليستخدم المتدرّب ما فهمه نظريا.

المعلم المختصّ والمعلم الناجح

من هو المعلم المتخصص؟

إن تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها يحتاج إلى معلّم متخصص، فمن هو المتخصص؟

- هل هو من يعرف العربية فقط؟ كلا.
- هل هو المتخصص باللغة العربية فقط؟ كلا.

---

[١] د. محمود إسماعيل صالح، "الإعداد المهني لمعلمي اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى"، ندوة تطوير برامج إعداد معلم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى، (بتصرف) الخرطوم، ص١٤٠—١٤٧.

بل هو:

- المتخصص بعلم اللغة التطبيقي.
- المتخصص بتدريس العربية لغير الناطقين بها.
- الممارس لمهنة تدريس العربية لغير الناطقين بها.
- المتابع للتدريب على تدريس العربية لغير الناطقين بها.

والسؤال هو كيف يصل الشخص إلى هذا؟

بالتخصص الدراسي في هذا الميدان من خلال الالتحاق ببرامج تهتم بذلك، وقد يحصل على درجة لا بأس بها من ذلك بالالتحاق ببعض الدورات المتخصصة التي تجمع بين الجانبين النظري والعلمي، وفيها ورش عمل.

ما هي صفات المعلم الناجح؟

المعلم الناجح هو الذي يتميز بصفات شخصية، وعلمية ومهارية، ولكي يوصف المعلم بأنه معلّم ناجح، لابد أن تتوافر فيه صفات عديدة، منها:

- أن يكون ذا شخصية قوية.
- أن يتميز بالذكاء والموضوعية والعدل.
- أن يتصف بالحيوية والتعاون.
- أن يكون مسامحا في غير ضعف، حازما في غير عنف.
- أن يكون مثقفا، واسع الأفق، لديه اهتمام بالاطلاع على ما استجد في طرق التدريس، وفي مادته.
- أن يكون أداؤه للعربية صحيحا، خاليا من الأخطاء.
- أن يكون محبا لعمله، متحمسا له.
- أن يكون متمكنا من المادة الدراسية التي يقوم بتدريسها، حسن العرض لها.
- أن يكون على علاقة طيبة مع طلابه وزملائه ورؤسائه.

ولكي تكون معلما ناجحا فلا بد من أن تراعي ما يلي:

إن العمل المنظم إنتاجه أكثر، والعمل الدقيق احتمالات الخطأ فيه أقل. ومن الضروري على المعلم أن يقسم وقته بين مجالات نشاطه وعمله العلمي، وهو خلاف الوقت الذي

يخصصه المعلم لبيته وأهله. والمعلم المنظم في عمله يمكنه أن يستفيد من وقته كله، وأن يعوّد نفسه على تنظيم وقته وأعماله، فلا يفكر في أكثر من شيء واحد في الوقت الواحد، ويخصص وقتا للعمل، فإنه مفتاح النجاح، ووقتا للاطلاع، فإنه مصدر الحكمة، ووقتا للعبادة، فإنها ينبوع الطمأنينة.

وممّا يطلب من المعلم الحكمة في إدارة الصف، وهي تتضمن التفاهم والتعاطف مع طلابه، وتوجيههم وإرشادهم فرديا وجماعيا، والاهتمام بالقيم الروحية والأخلاقية لهم، ومراعاة حاجاتهم العلمية والاجتماعية، والقدرة على المحافظة على النظام في الصف، ومواجهة المواقف المعقدة، وتنمية روح الانضباط الذاتي لدى طلابه، واحترام أنظمة المؤسسة التعليمية من خلال الاقتداء بمعلمهم في حسن أدائه لرسالته.

وإذا قدّر المعلّم مشاعر طلابه، واستجاب لمناقشاتهم ومطالبهم، فإنهم سيكوّنون آراء إيجابية نحوه، ويتمثلون سلوكه أحيانا. وإذا أعلن المعلم سياسته وعرف ردود فعل طلابه نحوها، واستجاب لأسئلتهم وتعليقاتهم دون غضب، فإن ذلك يجعل طلابه يعرفون ما يتوقعه المعلم منهم، ويشعرون بالمسؤولية تجاه ما يطلبه منهم. وإذا أعطاهم اهتماما كافيا، فإنهم سيحسون بأنه متجاوب معهم، فينشطون لعمل ما يطلبه منهم.

والمعلم الماهر هو الذي يعمل على جذب انتباه طلابه لمجريات درسه، فيستخدم الوسائل المعنية التي تحضّهم على المشاركة في النشاط الصفي: فيطلب من بعض الطلاب القيام بنشاط، أو الإجابة عن سؤال. وعلى المعلم إلقاء السؤال قبل تحديد الطالب الذي يجيب، كما عليه أن يغير في أساليب استخدامه للوسائل، كالطلب من بعض الطلاب القيام بنشاط شفوي، وآخرين بنشاط كتابي على السبورة، وآخرين بنشاط تنافسي، أو تعاوني... إلخ.

وزّع أسئلتك وابتساماتك وكلماتك على الطلاب توزيعا عادلا، لخلق نوع من الألفة والحيوية في الصف، وأبدِ احترامك لآرائهم، وكن متسامحا.

ومن المفيد أن يعطى الطلاب قدرا كبيرا من التواصل والمشاركة، إذ في ذلك تقوية للروابط الشخصية، تجعلهم يشعرون بقدر طيب من الحرية المنضبط والتشجيع والتغذية الراجعة.

***

التعليم والتربية

٢٠ نصيحة للطلاب في الاختبارات

فضيلة الشيخ محمد صالح المنجد

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وبعد:

فإن الطالب المسلم يتوكل على الله في مواجهة اختبارات الدنيا ويستعين به آخذا بالأسباب الشرعية انطلاقا من قول النبي صلى الله عليه وسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز" (صحيح مسلم، حديث رقم ٢٦٦٤).

ومن تلك الأسباب:

١- الالتجاء إلى الله بالدعاء بأي صيغة مشروعة، كأن يقول رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري.

٢- ان يستعد بالنوم المبكر، والذهاب إلى الامتحان في الوقت المحدد.

٣- إحضار جميع الأدوات المطلوبة والمسموح بها كالأقلام وأدوات الهندسة والحاسبة والساعة، لأن حسن الاستعداد يعين على الإجابة.

٤- تذكر دعاء الخروج من البيت: "بسم الله، توكلت على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، اللهم إني أعوذ بك أن أضل أو أضل، أو أزل أو أزل، أو أظلم أو أظلم، أو أجهل أو يجهل علي" ولا تنس التماس رضا والديك، فدعوتهما لك مستجابة.

٥- أن تسمي بالله قبل البدء، لأن التسمية مشروعة في ابتداء كل عمل مباح وفيها بركة واستعانة بالله، وهي من أسباب التوفيق.

٦- اتق الله في زملائك، فلا تثر لديهم القلق ولا الفزع قبيل الاختبار، فالقلق مرض معد، بل أدخل عليهم التفاؤل بالعبارات الطيبة المشروعة، وقد تفاءل النبي صلى الله عليه وسلم باسم سهيل وقال: سهل لكم من أمركم، وكان يعجبه إذا خرج لحاجته أن يسمع: يا راشد يا نجيح.

فتفاءل لنفسك ولإخوانك بأنكم ستقدمون امتحانا جيدا.

٧– ذكر الله يطرد القلق والتوتر، وإذا استغلقت عليك مسألة فادع الله أن يهوّنها عليك، وكان شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – إذا استغلق عليه فهم شيء يقول: يا معلم إبراهيم علمني، ويا مفهّم سليمان فهمني.

٨– اختر مكانا جيدا للجلوس أثناء الاختبار ما أمكنك، وحافظ على استقامة ظهرك، واجلس على الكرسي جلسة صحية.

٩– تصفح أسئلة الامتحان أولا، والأبحاث توصي بتخصيص ١٠% من وقت الامتحان لقراءة الأسئلة بدقة وعمق وتحديد الكلمات المهمة وتوزيع الوقت على الأسئلة.

١٠– خطط لحل الأسئلة السهلة أولا والصعبة لاحقا، وأثناء قراءة الأسئلة اكتب ملاحظات وأفكارا لتستخدمها لاحقا في الإجابة.

١١– أجب على الأسئلة حسب الأهمية.

١٢– ابتدئ بحل الأسئلة السهلة التي تعرفها. ثم اشرح في حل الأسئلة ذات العلامات الأعلى، وأخر الأسئلة التي لا يحضرك جوابها، أو ترى أنها ستأخذ وقتا للتوصل إلى نتيجة فيها، أو التي خصص لها درجات أقل.

١٣– تأنّ في الإجابة، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "التأني من الله، والعجلة من الشيطان". حديث حسن: صحيح الجامع: ٣٠١١.

١٤– فكّر جيدا في أسئلة اختيار الجواب الصحيح في امتحانات الخيارات المتعددة، وتعامل معها وفق الآتي: إذا كنت متأكدا من الاختيار الصحيح فإياك والوسوسة، وإذا لم تكن متأكدا فابدأ بحذف الاحتمالات غير الصحيحة والمستبعدة، ثم اختر الجواب الصحيح بناء على غلبة الظن، وإذا خمّنت جوابا صحيحا فلا تغيّره إلا إذا تأكدت أنه غير صحيح –خصوصا إذا كنت ستفقد نقاطا عند الإجابة غير الصحيحة -، وقد دلّت الأبحاث على أن الجواب الصحيح غالبا هو ما يقع في نفس الطالب أولا.

١٥– في الامتحانات الكتابية، اجمع ذهنك قبل أن تبدأ الإجابة، واكتب الخطوط العريضة لإجابتك ببضع كلمات تشير إلى الأفكار التي تريد مناقشتها، ثم رقم الأفكار حسب التسلسل الذي تريد عرضه.

١٦– اكتب النقطة الرئيسة للإجابة في أول السطر، لأن هذا ما يبحث عنه المصحح، وقد لا يرى المطلوب إذا كان داخل العبارات والسطور، وكان المصحح في عجلة.

١٧–خصص ١٠% من الوقت لمراجعة إجاباتك، وتأن في المراجعة وخصوصا في العمليات الرياضية وكتابة الأرقام، وقاوم الرغبة في تسليم ورقة الامتحان بسرعة، ولا يزعجنك تبكير بعض الخارجين، فقد يكونون ممن استسلموا مبكرا.

١٨–إذا اكتشفت بعد الاختبار أنك أخطأت في بعض الإجابات فخذ درسا في أهمية المزيد من الاستعداد مستقبلا أو عدم الاستعجال في الإجابة، وارض بقضاء الله ولا تقع فريسة للإحباط واليأس، وتذكر حديث النبي صلى الله عليه وسلم: إن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان". صحيح مسلم وقد تقدم أوله.

١٩–اعلم بأن الغش محرم سواء في مادة اللغة الأجنبية أم في غيرها، وقد قال عليه الصلاة والسلام: "من غشّ فليس منا"، وهو ظلم وطريقة محرمة للحصول على ما ليس بحق لك من الدرجات والشهادات وغيرها، وأن الاتفاق على الغش هو تعاون على الإثم والعدوان، فاستغن عن الحرام يغنك الله من فضله، وارفض كل وسيلة وعرض محرم يأتيك من غيرك، ومن ترك شيئا لله عوّضه الله خيرا منه. وعليك بإنكار المنكر ومقاومته والإبلاغ عما تراه من ذلك أثناء الاختبار وقبله وبعده، وليس هذا من النميمة المحرمة، بل من إنكار المنكر الواجب.

فانصح من يقوم ببيع الأسئلة أو شرائها أو يقوم بنشرها عبر شبكة الانترنت وغيرها، والذين يقومون بإعداد أوراق الغش، وقل لهم أن يتقوا الله، وأخبرهم بحكم فعلهم وحكم مكسبهم، وأن هذا الوقت الذي يقضونه في الإعداد المحرم لو أنفقوه في المذاكرة الشرعية وحل الاختبارات السابقة والتعاون على تفهيم بعضهم بعضا قبل الاختبار لكان خيرا لهم وأقوم من الأعمال والاتفاقات المحرمة.

٢٠–تذكر ما أعددت للآخرة، وأسئلة الامتحان في القبر، وسبل النجاة يوم المعاد: {فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز}.

نسأل الله أن يجعلنا من الفالحين الناجحين في الدنيا، ومن الفائزين الناجين في الآخرة، إنه سميع مجيب.

***

من أخبار الجامعة

برنامج تربوي
في رحاب الجامعة السلفية، بنارس

نظمت الجامعة السلفية بنارس برنامجا تربويا دينيا في رحابها لعامة المسلمين، وذلک في يوم الأحد: ٤/١٢/١٤٣٣هـ = ٢١/١٠/٢٠١٢م، بدأ في الساعة العاشرة صباحا، واستمر إلى صلاة العشاء عدا فترات الصلاة والطعام، وكان البرنامج مشتملا على أربع جلسات كالتالي:

الجلسة الأولى: بدأت في الساعة العاشرة في قاعة المحاضرات بالجامعة بتلاوة القرآن الكريم، ثم قام فضيلة الشيخ عبد الله سعود بن عبد الوحيد السلفي، الأمين العام للجامعة بإلقاء كلمة موجزة لخص فيها أهداف البرنامج، ورحب بالمشاركين فيها من أهالي مدينة بنارس وما جاورها من المناطق، ثم ألقى فضيلة الشيخ عبد الوهاب الحجازي، الأستاذ بالجامعة، محاضرة حول موضوع: "القرآن الكريم ومسؤوليتنا تجاهه" تحدث فيها عن الموضوعات الرئيسية التي تناولها القرآن بالذكر والبيان بشيء من التفصيل، ثم ألقى بعض الأضواء على بعض ما يجب على المسلمين من حقوق هذا الكتاب العزيز عقيدة وعلما وعملا، بعد ذلک تفضل الشيخ عزيز الرحمن السلفي، الأستاذ بالجامعة بإلقاء محاضرته حول السنة النبوية، فتكلم بالتفصيل عن الجهود التي بذلت لحفظ السنة وجمعها وتدوينها في العهد النبوي وعهد الخلفاء الراشدين وبعد ذلک. وذكر المواقف المشرقة للصحابة الكرام رضوان الله عليهم من الأحاديث الشريفة، وخاصة في رجوعهم إلى السنة النبوية عند التنازع والاختلاف وحل القضايا التي قد يكثر فيها القيل والقال. وبذلک انتهت الجلسة الأولى للبرنامج، وقد استمرت إلى أذان الظهر، وقد حضرها إلى جانب مدرسي الجامعة وطلابها والمشاركين من خارج الجامعة عدد من المسؤولين، منهم فضيلة الشيخ شاهد جنيد بن محمد فاروق السلفي، رئيس الجامعة، وفضيلة الشيخ عبد الله الزبيري، نائب الأمين العام للجامعة. وقد قام بالتقديم فضيلة الشيخ محمد يونس المدني، المدرس بالجامعة.

واتجه المشاركون بعد أداء صلاة الظهر إلى القاعة الكبيرة تحت مسجد الجامعة لتناول الغداء، وبعد ذلک عقدت الجلسة الثانية للبرنامج في الساعة الثانية، واستمرت إلى

الساعة الثالثة والربع، وكانت هذه الجلسة مخصصة للأسئلة والاستفسارات، وقد شارك في الإجابة على الأسئلة كل من فضيلة الشيخ علي حسين السلفي، وفضيلة الشيخ نور الهدى السلفي، من أعضاء لجنة الإفتاء بالجامعة، وقام بالتقديم فضيلة الشيخ عبد الله عبد الرؤف السلفي.

وبدأت الجلسة الثالثة بعد صلاة العصر، وكان موضوع هذه الجلسة أهمية الصلاة والتطبيق العملي للصلاة، وقد كلف هذا الكاتب بشرح هذا الموضوع، فتحدث عن مكانة الصلاة في الإسلام وفضلها ووجوبها وضرورة أدائها في المساجد، وحذر عن الاستهانة بها والتساهل فيها، ثم شرح بالتفصيل الهيئة العملية لكل حالة من حالات الصلاة من القيام والركوع والسجدة والقومة والجلسة ورفع اليدين، ونبه على الأخطاء التي يرتكبها كثير من المصلين في الحالات المذكورة. وقد قمت بتكليف طالب من السنة الثانية للفضيلة وهو الأخ محمد بن محمد إبراهيم، للقيام على المنصة وعرض الهيئة الصحيحة لأعمال الصلاة وكذلك عرض الهيئات الخاطئة، انتهت هذه الجلسة قبيل أذان المغرب، وقد قام بتقديمها فضيلة الشيخ عبد الرحيم الرياضي.

وانعقدت الجلسة الرابعة والأخيرة بعد صلاة المغرب، وكان موضوعها: جماعة أهل الحديث، التعريف بها والرد على الاتهامات التي تلصق بها، وكان محاضر هذه الجلسة فضيلة الشيخ أبو زيد ضمير، حفظه الله، وهو داعية إسلامي معروف ينتمي إلى مدينة غلبرغه في جنوب الهند، له جهود مشكورة في الدعوة الإسلامية عامة، وفي الدعوة السلفية خاصة. وقد تناول المحاضر الضيف موضوعه بكل بسط وتفصيل، وذكر نحو عشرة من المزاعم الخاطئة والاتهامات الباطلة التي تلصق بالدعوة السلفية، ورد عليها واحدة بعد واحدة ردا علميا مقنعا بأسلوب هادئ وأخاذ، يجدر بالذكر أن مثل هذه الموضوعات الدفاعية قد تنطلق ألسنة بعض المتكلمين عليها بالتجريح والنقد اللاذع المثير للحماس، ولكن محاضرنا —جزاه الله خيرا— قد التزم بالأسلوب الإيجابي العلمي الرصين، ولم ينبس ببنت شفة بكلمة مثيرة للغضب والحماس. وما أحوج دعاة هذا اليوم إلى هذا الأسلوب القائم على الرفق والحلم والأناة، البعيد كل البعد عن السب والتجريح والتفسيق والإثارة والنعرات الحماسية، وقد قام المحاضر

حفظه الله بالإجابة على الأسئلة الواردة أيضا، وكان مقدم هـذه الجلسة فضيلة الـشيخ عبدالمتين المدني، وقبل إعلان الختام قدم فضيلة الشيخ عبدالله سعود السلفي كلمة الشكر والتقدير إلى كل من ساهم في إنجاح هذا البرنامج وقام بالتعاون مع المسؤولين،وعلى رأسهم فضيلة المحاضر الضيف الشيخ أبو زيد ضمير حفظه الله، ومدرسو الجامعة الذين قاموا بإلقاء محاضراتهم في جلسات البرنامج، وكذلك الذين ساهموا في الترتيب والتنظيم والضيافة، وطلاب الجامعة الذين وكل إليهم بعض المسؤوليات، وأهالي مدينة بنارس الذين بذلوا جهودا مشكورة لإنجاح البرنامج، وجميع المشاركين الـذين اسـتمعوا إلـى الـدروس والمحاضرات وتفاعلوا معها.

يجدر بالذكر أن قاعة المحاضرات كانت قد امتلأت بالمشاركين الواردين من بنارس والمناطق المجاورة لها، ولذا تم نقل فعاليات البرنامج عبر الشاشة إلى قاعة دار الحديث الواقعة في الجهة الجنوبية من ساحة الجامعة، حيث استمع الطلاب إلى كافة فقرات البرنامج وهم في هذه القاعة.

واغتناما لفرصة تواجد الضيف الكريم الشيخ أبو زيد ضمير في رحاب الجامعة عقدت ندوة طلبة الجامعة حفلا بعد صلاة العشاء من يوم السبت: ٣/١٢/١٤٣٣هـ = ٢٠/١٠/٢٠١٢م، تحدث فيه فضيلة المحاضر حول بعض آداب طلب العلم وما يحتاج إليه الطلاب من الصبر والجد والاجتهاد أيام الطلب والتحصيل، وحثهم على اغتنام الفرص والأوقات والعمل والتطبيق والاهتداء بهدي السلف الصالح.

جزى الله الضيف الكريم على تلبية دعوة الجامعة وتحمل مشاق الحل والترحال وبذل الوقت والجهد في سبيل الدعوة إلى الله، نسأل الله تعالى له التوفيق والثبات والسلامة.

(أسعد أعظمي)

***

المجلة تهدف إلى

- ☆ إعلاء كلمة الله، والدعوة إلى الاعتصام بحبل الله، والتمسك بكتابه، وسنة نبيه ﷺ، بعيدا عن التحيز الفكري، والتعصب المذهبي، وتبليغ رسالة الإسلام، وتنوير الرأي العام بمبادئها وتعاليمها الصحيحة ودحض الشبهات عنها، ورفع مستوى الدراسات الإسلامية والثقافة الدينية.
- ☆ مقاومة الأفكار الدخيلة، والتيارات المنحرفة، والمباديء الهدامة، وضلال الزيغ والالحاد، وسائر المنكرات، بأسلوب علمي رصين ملائم لروح العصر مع التجنب عن لغو القول وسفاسف الأمور وكل ما فى نشره ضرر للمسلمين أو خطر على وحدتهم وتضامنهم.
- ☆ مؤازرة الكتاب والأدباء الاسلاميين، واستنهاض هممهم لتناول موضوعات العصر، وشرح تعاليم الاسلام السمحة، ليتمكنوا من الذود عن الاسلام وقيمه، فى تعمق ووعي وجرأة ودأب، وعن إيمان وإخلاص.
- ☆ إيقاظ الروح الدينية، وبث الوعي الإسلامى فى الشباب المسلم، وتزويدهم بالثقافة الاسلامية الواسعة، وإعدادهم للاسهام فى معركة اللسان والقلم، وتبصير المسلمين بمزايا الشريعة الإسلامية والرجوع بهم إلى مصادر الدين الأصلية من الكتاب والسنة.
- ☆ نشر العلوم الاسلامية والعربية بين المسلمين فى الهند، وتعميم اللغة العربية بين المثقفين، ورفع مستواها كتابة وخطابة.
- ☆ التوجيه الديني السليم للمسلمين فى القضايا الراهنة، والمشاكل الناجمة، حتى يتمكنوا من المضي فى طريقهم على هدى وبصيرة.

والله هو المسئول أن يهدينا إلى سبيل الرشاد.

عــدد صفحــات الجــزء: ٦٠